الحصاد

AL-HASAD Issue No: 155 / August 2024 | العدد ١٥٥ / آب ٢٠٢٤ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

كارثية الوضع ومأساوية الواقع تستلزم سرعة التحرك

نداء عاجل: أنقذوا ما تبقى من السودان!

الحصاد

AL-HASAD

العدد ١٥٥ـ آب ٢٠٢٤ـ Issue No: 155 - August 2024

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:

إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:

د. مازن الرمضاني

أمين الغفاري

المدير الفني:

حسين حمّود

ثمن النسخة :

٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :

٣٠ جنيهاً سترلينياً

مكتب بيروت

+٩٦١٤٥٥٥٩٠٠

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»:

Telephone: 00 44 (0) 7444660507

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

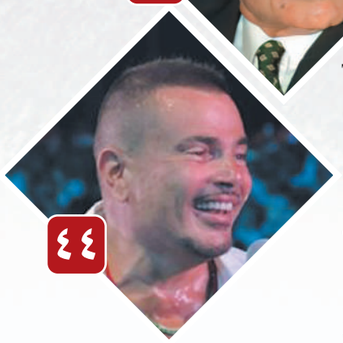

في هذا العدد

ص

موضوع الغلاف ٤
نداء عاجل... انقذوا ما تبقى من السودان !

قضايا إقتصادية ٢٠
أسوأ ميراث اقتصادي ومالي تواجهه الحكومة البريطانية

مستقبلات ٢٢
صناعة المستقبل العربي: التحديات والفرص

قضايا أدبية ٢٦
تطور النقد الأدبي في الصحافة الثقافية

روافد ٣٨
حسام الصباح... حارس نوم الأصدقاء ينام

كلمة «الحصاد»

بوصلة العرب... فلسطين

ما معنى أن تكون فلسطين بوصلة (الأمة العربية)؟

حين فرض الإستعمار الغربي إحتلالَ فلسطين من قِبَل أقوام جاءوا بهم من مختلف أنحاء الأرض، وأسكنوهم فيها، كانوا يؤسِّسون لدولة عنصرية بإمتياز، فأن يكون جواز تواجدهم وحكمهم للأرض المغتَصَبة كونهم (يهوداً) ، وأن تُسمّى (دولةً يهودية)، فهو التمييز العنصري بأبشع أشكاله.

منذ أن وُجِدت الحضارة في أرض العرب من قبل الإسلام ومن بعده، لم يُحرَم مواطنٌ من الإنتماء للدين الذي يؤمن به او ان يمارس عبادته في معابده، الاّ الشرك بالله سبحانه وتعالى، وفي ذروة عصور الحضارة الإسلاميّة، في صدر الإسلام (الخلافة الراشدية) والخلافة الأموية والعباسيّة وحتى في حكم (الدولة العثمانية) لم يُعامل غيرُ المسلمين على أنهم لا حقوق لهم في المواطنة، حتى جاء الإستعمار الغربيُّ ليفرضَ أدوات بقائه لأطول فترة، يستغلُّ بها خيرات بلاد العرب، فيشتتهم ويفرقهم (شيَعاً وأحزاباً وأدياناً) متقاتلة يكره بعضُهم البعضَ الآخر ويستَعْدون المحتلين على أبناء بلدهم وإخوانهم في الوطن الواحد.

مرّت عقود كثيرة على هيمنة الغرب على مقدّرات الشعب العربيّ في كل أقطاره (التي قسّمها المستعمرون. حسب مصالحهم ، وليس كما يظن البعض حسب مصالح كل قطر) دون استثناء، وكان من نصيب فلسطين الكفلُ الأكبر في القتل والتّهجير وإغتصاب المساكن والأراضي والمزارع وكلّ شبر فيها، حتى أصبح الفلسطيني غريباً عن وطنه وإن كان لم يهاجر لبلد آخر، وحتى بلغت العنجهية الاسرائيلية الصهيونية أبعد ما يمكنها، لتهدم البيوت على رؤوس ساكنيها لا فرق بين شاب وشيخ رجل وإمرأة وطفل، إعتدت على المستشفيات ودور العِبادة للمسلّمين والمسيحيين (كونهم ليسوا يهوداً اسرائيليين) قصفت المدارس وكل البنى التحية التي تقوم بخدمة المواطن، ووصل الأمر للاعتداء على المؤسسات العالمية (الأونروا والهلال الأحمر والصحفيين غربيين وعرب وغيرها).

فهل إنتهى الأمر عند ذلك؟ كلا فالسيل الجامح للاستعمار والصهيونية بأشكالها المختلفة قد أطبقَ على العرب في كل بقعة من ارضهم دون تمييز إلا في التوقيت الذي تقرره الصهيونية العالمية وحلفاؤهم المستعمرون، وإن كان للعرب ذاكرة فليتذكروا قولهم حين جمعوا حشود ثلاث وثلاثين دولة لغزو العراق وتحطيم جيشه وتدمير كلّ مظاهر الحضّارة فيه، قتلوا علماءه وهدموا جامعاته وحطموا صناعاته ومزارعه وفتتوا شعبه طوائفَ يخشى بعضُهم البعضَ ويعتدي عليه قبل أن يأتيه الاعتداء من الطرف الآخر، حينها كانوا يرددون (على العرب أن يعودوا لصحرائهم وللربع الخالي في جزيرتهم العربية) ويجب أن لا ننسى ما فعلوه في ليبيا وسوريا واليمن ومازال الطريق طويلاً ليصلوا لإحتلال كل ارض العرب لتقوم دولة (إسرائيل الكبرى، من النيل إلى الفرات).

والاحتلال ليس بوجه واحد، فهناك ما هو أسوأ من الاحتلال العسكري، إحتلال العقول، وماً يسمونه القوة الناعمة، وما عمليات التطبيع المتسارعة إلا جزءٌ بسيطاً منها.

نعود ونكرر، إن كنت عربياً مخلصاً لوطنك وشعبك فليس لك إلا أن تكون، فلسطين هي البوصلة، حينها لن يستطيع مستعمر أو مستغلٌ ان ينتصر عليك، وحينذاك ينتصر الشعب في كل أرضٍ عربية وتتحرر فلسطين، جوهرة العالم العربي بأمتياز.

ولينصر الله المجاهدين في فلسطين وكل حر أبيّ، وما النصر إلا من عند الله. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:

www.alhasad.co.uk

كارثية الوضع ومأساوية الواقع تستلزم سرعة التحرك

نداء عاجل... انقذوا ما تبقى من السودان!

صفاء عزب ـ القاهرة

«بسبب الحرب تحول السودان إلى دولة فاشلة.. إن السيناريو الأسوأ أن يصبح نسخة جامحة من الصومال لمدة 20 أو 25 عاما مع احتمالات السرعة في أن يتحول الوضع فيه من حرب بين طرفين إلى حرب بين عدة أطراف تجذب إليها دول الجوار الكبيرة فنصبح أمام نسخة أسوأ من الصراع في ليبيا».. تحذيرات وردت على لسان توم بيرييلو، المبعوث الأميركي الخاص للسودان، من توابع الوضع القاتم والخطير الذي وصل إليه السودان بسبب الحرب ونذر تحولها إلى حرب شاملة تلقي بظلالها على دول المنطقة وتحدث تأثيراتها السلبية على الصعيد الإقليمي والدولي وفقا للمسؤول الأمريكي.

وضع كارثي وواقع مأساوي

لقد بات الوضع كارثيا في السودان بعد مرور ما يقرب من 15 شهرا على اشتعال الحرب بين أبنائها من السودانيين، بقيادة طرفيها قائد الجيش السوداني الفريق عبد الفتاح البرهان، ورئيس قوات الدعم السريع، محمد حمدان دقلو الملقب بـ«حميدتي»، وهي الحرب التي دمرت الأخضر واليابس، وسيخرج الجميع منها خاسرا فلا يوجد طرف منتصر فيها لأن المحصلة خسائر كارثية وتدهور غير مسبوق في أوضاع السودان بشكل يهدد كيان الدولة ووجودها بعد أن تسبب صراع الجنرالات في تدمير البنى التحتية وتخريب المباني السكنية والحكومية وتعريض مستقبل الآلاف من الطلاب في جميع مراحل التعليم للضياع بسبب عجزهم عن استكمال دراستهم، إضافة إلى تعرض المرضى للموت لعدم توافر الأدوية وتدمير المؤسسات المعنية بتقديم الخدمات الصحية والعلاج للحالات الحرجة وذوي الأمراض المزمنة.

في ظل هذه الأوضاع المأساوية حذرت منظمة الأمم المتحدة من أن المرافق الصحية السودانية تعمل بحدها الأدنى وأن الإمدادات الطبية لاتستطيع إلا تلبية ربع الاحتياجات فقط. وكشف مدير المراكز القومية لعلاج الأورام عن وفاة 20% من مرضى السرطان لعدم توفر العلاج أو صعوبة وصولهم للمستشفيات. وأشار إلى أن القتال في الخرطوم والجزيرة أدى إلى خروج الولايتين السودانيتين من الخدمة رغم أهميتهما الحيوية مما أدى إلى حرمان 80% من المرضى السودانيين من العلاج.

وتزداد الصورة قتامة يوما بعد يوم في ظل تدهور الأوضاع الإنسانية ومطاردة الموت للسودانيين قتلا وجوعا، وحتى من يحاول منهم الفرار من ذلك الجحيم فإنه يتعرض للموت غرقا كما حدث مؤخرا عندما غرق 25 سودانيا في النيل الأزرق أثناء محاولتهم الهرب من المعارك.

يقول رئيس مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في السودان جاستن برادي أن هناك 4.9 مليون شخص يعيشون الآن في حالة من انعدام الأمن الغذائي الحاد، والتي تعتبر على مسافة خطوة واحدة فقط من المجاعة مشيرا إلى احتمال مواجهة موت عشرات بل مئات الآلاف جوعا في الفترة المقبلة بشكل يسهم في حدوث أكبر أزمة مجاعة في العالم منذ سنوات طويلة حيث اضطر السودانيون في مناطق الخرطوم إلى تناول أوراق الشجر والعيش عليها عوضا عن عدم توافر الغذاء خاصة مع تعثر الزراعة وتراجع انتاج الحبوب بنسبة كبيرة بسبب ظروف الحرب. ويعد الأطفال أكثر ضحايا هذه الحرب حيث يعانون أشد أنواع سوء التغذية بسبب نقص الإمدادات الغذائية التي اضطرتهم لأكل التراب في بعض المناطق السودانية ومنها مخيم زمزم في ولاية شمال دارفور حيث يسكن نصف مليون لاجئ سوداني.

شعب يدفع ثمن الصراع بين الجنرالات

للأسف الشديد تعيش المنطقة العربية أسوأ حالاتها في ظل امتداد الحروب إلى أجزاء كثيرة منها بشكل انعكس سلبا على أوضاع الشعوب. لم تكن غزة وحدها التي تعيش مأساة متجددة على مدار الساعة من قتل وتدمير وإبادة وتجويع على يد سلطات الإحتلال الصهيوني، إنما تشهد أجزاء أخرى من العالم العربي أوضاعا خطيرة ولاتقل مأساوية عما يحدث في فلسطين ولكنها لا تحظى بنفس الاهتمام الإعلامي الدولي ولايشعر بها العالم. ففي السودان تبدو الأجواء حالكة السواد بسبب الحرب الأهلية ونيرانها التي عكرت صفو سمائه، والدماء المراقة والجثث الملقاة على قارعة الطريق والبقايا البشرية العائمة على المسطحات المائية، بينما يستمر القتال ويصير أشد شراسة ليلتهم خيرات وثروات السودان ذلك البلد الغني بأرضه الخصبة وموارده المتنوعة ليطارد شبح الموت أبناءه قتلا أو جوعا حتى علت الصرخات مدوية تنادي بالإسراع لإنقاذ ما تبقى من السودان العربي.

لم تقتصر المجازر على تلك التي يرتكبها المحتل الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني بصورة يومية، وإنما امتدت إلى ذلك البلد الطيب شعبه بعد أن اشتعلت الفتنة بين أهله وتسببت الحرب الأهلية السودانية في حدوث عمليات قتل وإبادة ومحازر بشعة يرتكبها أبناء الوطن الواحد في حق بعضهم البعض ومنها مجزرة قرية ود النورة في ولاية الجزيرة وسط البلاد في شهر يونيو الماضي والتي راح ضحيتها أكثر من 100 قتيل بالإضافة إلى إصابة المئات.

حينما نجح الشعب السوداني في القيام بثورتهم ضد نظام البشير كانت الآمال كبيرة في تحقيق أهداف الثورة التي قامت من أجلها في أقرب وقت وأن ينعم الشعب السوداني بجني ثمارها من الرخاء والسلام والعدالة، لكن كثيرا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فسرعان ما تعثرت خطى الثورة ووقع الصدام بين الشعب والجيش. وبعد الاقتراب من تحقيق الحلم في تولي سدة الحكم سلطة مدنية وفق اتفاق شامل بين جميع الأطراف، برعاية عربية ودولية، وقع ما لا يحمد عقباه واشتعل الموقف بصورة سريعة بين ليلة وضحاها وسط تصعيد خطير للأحداث عندما استيقظ السودانيون ليلة الخامس عشر من إبريل 2023 على أصوات طلقات الرصاص المتبادلة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع.

المثير في الأمر أن ملايين الضحايا من

نازحين ومشردين وقتلى ومصابين هم من يدفعون ثمن الصراع القائم بين قائدين عسكريين على السلطة والنفوذ في البلاد، بعد سقوط نظام البشير ، وهو صراع يرجع لنقطة خلاف أساسية تتعلق بخطة ضمّ قوات الدعم السريع التي يبلغ عددها 100 ألف عنصر، إلى الجيش ومن سيقود القوة الجديدة بعد ذلك. وبينما كانت الآمال معقودة على حلحلة الأزمة بالحوار، فجأة انهار كل شئ وأصبح العنف هو لغة التعامل السائدة بين أنصار الطرفين. وازداد الأمر سوءا مع اتساع رقعة القتال وامتدادها من محيط قصر الرئاسة في العاصمة الخرطوم حيث كانت الشرارة الأولى للأحداث، إلى مناطق أبعد حتى أصبح السودان كله ميدانا للحرب وساحة للإقتتال وصارت مشاهد المجازر تتكرر يوميا نتيجة التصعيد الخطير وما يصاحبه من خراب ودمار ومزيد من الضحايا.

في الفترة الأخيرة شهدت الحرب في السودان تطورات مخيفة أدخلت البلاد في منعطف شديد الخطورة سيما مع استهداف قوات حميدتي لمدينة الفاشر، العاصمة التاريخية لدارفور، ثم مناطق سنار والنيل الأبيض حيث يوجد مئات الآلاف من اللاجئين النازحين من مناطق الجزيرة المختلفة بعد سقوط مدني في أيدي قوات الدعم السريع وهو الأمر الذي ازدادت معه الأوضاع الإنسانية سوءا خاصة مع استمرار عمليات القصف ومحاولات الاقتحام دون مراعاة للأرواح البريئة التي تتعرض للقتل. ووصلت الأوضاع إلى حد الكارثة لدرجة دفعت مجلس الأمن الدولي لتخصيص جلسة لمناقشة أوضاعها وإصدار قرار يطالب بوقف القتال وانسحاب القوات العسكرية من محيط المدينة، والسماح بدخول المساعدات الإنسانية.

تكشف الأرقام المعلنة في التصريحات الرسمية عن بشاعة الحرب في السودان وما خلفته من أوضاع كارثية حيث بلغت حصيلة قتلى الحرب الأولية 150 ألف قتيلا بحسب ما ذكره المبعوث الأميركي الخاص للسودان توم بيرييلو، منهم 15ألف قتيلا سقطوا في منطقة الجنينة وحدها بولاية غرب دارفور وفق تقارير أممية. كما يعاني الناجون من أوضاع غاية في السوء بسبب عدم الاستقرار والبقاء تحت التهديد بصورة دائمة ما أدى إلى وجود 10 مليون نازحا سودانيا داخل وخارج البلاد ممن اضطرتهم الظروف إلى الفرار بحثا عن الأمان المفقود. وفي ظل هذه المأساة تعالت الصيحات والأصوات الداعية إلى إنقاذ السودان فهل من مجيب؟!

اتساع نطاق الحرب وانهيار الجيش

وفق رؤية براجماتية بحكم خبرتهم العملية يرى المسؤولون السياسيون السابقون في السودان أن الوضع صعب، ومنهم وزير الإعلام السابق فيصل محمد صالح الذي يبدو غير متفائل وقلقا على جيش بلاده ويقول أن الجيش السوداني بدا منهارا بعد أن فقد توازنه وتخلى عن صموده في العديد من المعارك الأخيرة أمام قوات الدعم السريع التي استطاعت السيطرة على مناطق هامة واستراتيجية منها مدينة سنار، ومنطقة جبل موية الاستراتيجية، التي مكنتها من التحكم في تقاطع عدد من الطرق المهمة وذلك قبل سويعات قليلة من سقوط مدينة سنجة في أيديهم ثم وصولهم لمدينة الدندر، ثم المزموم، وكبري دوبا وذلك بالتوازي مع تحركهم في ولايتي دارفور وكردفان، والعودة لمهاجمة الفاشر، واحتلال منطقة وحامية الميرم في كردفان. ولاشك أن ما حدث خذل السودانيين الذين يدعمون جيش بلادهم وكانوا يظنونه أكثر صمودا قبل أن ينهار بهذه الوتيرة السريعة. لقد كان هناك اعتقاد مرجح لدى الكثيرين من أبناء الشعب السوداني بأن المعركة محسومة لصالح الجيش ولكن حصول قوات حميدتي على دعم من الخارج ساهم في إطالة أمد الحرب واتساع نطاقها مما خلف عددا كبيرا من الضحايا.

من المحزن أن يشهد السودان هذا الخراب والدمار ويعاني أهله من صعوبة الحال في «

الوقت الذي يتمتع بمؤهلات ومقدرات اقتصادية كبيرة يمكن أن تضعه في مصاف الدول المتقدمة ذات المستوى الاقتصادي المرتفع، ولكن يبدو أن هذه المؤهلات صارت نقمة عليه لأنها أثارت الأطماع في الاستيلاء عليها.

يتمتع السودان بخيرات ومزايا استراتيجية كثيرة تدفع أطرافا خارجية لمساندة قوات الدعم وفق مصالح مشتركة تتيح لتلك الأطراف الاستفادة بالكنوز السودانية واستغلالها خاصة مناجم الذهب وحقول النحاس واحتياطيات اليورانيوم الكبيرة في دارفور وجبال النوبة وكردفان والنيل الأزرق والبطانة وولاية البحر الأحمر. يضاف إلى ذلك الرغبة في استغلال الموانئ السودانية المهمة بحكم موقعها الحيوي على البحر الأحمر. وعندما تجتمع الثروات مع الأطماع الخارجية والفساد الداخلي والرغبة في الاستيلاء على السلطة والنفوذ تتراجع مصالح الشعوب ويصبح مستقبل الأوطان على المحك.

مبادرات إقليمية ودولية لإنقاذ السودان

مع الإنتباه لخطورة الوضع وانعكاساته المستقبلية على المنطقة نشطت في الفترة الأخيرة تحركات دبلوماسية وسياسية عربية وإفريقية ودولية أيضا لرأب الصدع والتقريب بين الفرقاء من أجل العمل على وقف الحرب وإنقاذ الشعب السوداني. فقد استضافت العاصمة المصرية في بدايات شهر يوليو 2024 مؤتمر "معا من أجل وقف الحرب" والذي جاء بعد عدة محاولات إقليمية شهدتها عواصم إفريقية في جيبوتي وأوغندا وإثيوبيا منذ اشتعال الحرب نحو ذات الهدف، ووصف هذا المؤتمر من قبل خبراء بأنه فرصة أخيرة باعتباره كان جامعا لفرقاء السودان لأول مرة منذ اندلاع الحرب. كما جاءت الدعوة لمؤتمر الاتحاد الإفريقي في أديس أبابا تأكيدا لنفس الهدف والذي تزامن مع زيارة تاريخية للرئيس الإثيوبي آبي أحمد لعبد الفتاح البرهان بالسودان وهي الزيارة التي حملت رسالة ضمنية للدعم الإثيوبي للجيش السوداني بعد توتر شاب العلاقة في أعقاب استقبال إثيوبيا لزعيم قوات الدعم السريع في فترة سابقة والترحيب به، وهو يعكس تحولا إيجابيا في الموقف الإثيوبي.

كما فتحت زيارة مسؤول سعودي كبير للسودان مؤخرا آفاق التفاؤل نحو حلحلة الأزمة وقرب انفراجها وذلك لأهمية الدور السعودي الحيوي خاصة وأن زيارة نائب وزير الخارجية السعودي، وليد الخريجي، إلى مدينة بورتسودان، التي تعد الأولى لمسؤول سعودي منذ اشتعال الحرب للبلاد، كانت مصحوبة برسالة خطية من الديوان الملكي السعودي.كما تعمل الأمم المتحدة من جانبها على نجاح المفاوضات لدعم الجهود الإنسانية الخاصة بتسهيل وصول المساعدات للمتضررين من القتال وحماية المدنيين.

ومع ذلك توجه الإتهامات للمجتمع الدولي ومؤسساته الأممية بالتخاذل في التعامل مع الحرب السودانية والتواطؤ في التزام الصمت على ما يحدث من جرائم بشعة، وهو ما يؤكده الدكتور الفاتح المهدي (أستاذ الفلسفة السياسية بالجامعات السودانية) واصفا الصمت الدولي تجاه الممارسات العنيفة لقوات الدعم السريع بأنه «صمت محير» وذلك بالمقارنة بما حدث عندما تم تكثيف القرارات والاجتماعات الأممية لحشد الآلة الدولية لمواجهة حرب دار فور الأولى، وهو ما لم يحدث في الحرب الحالية رغم خطورتها الأشد من حيث اتساع نطاقها وارتفاع عدد ضحاياها.

ما بين ذلك الصمت المحير والتدخل الدولي يثور التساؤل حول كيفية التعاطي مع الأزمة السودانية. إذا كان الصمت مرفوضاً فإن التدخل المباشر في السودان محفوف بالمخاطر وفقا لما أكدته التجارب السابقة حيث ثبت علميا فشل التدخل الدولي في العراق وسوريا وليبيا وغيرها لأنه أدى إلى الفوضى ومزيد من تعقيد الأوضاع بدلا من حلها. وأي تدخل دولي لابد أن يسبقه اتفاق لوقف إطلاق النار والضغط على الأطراف الخارجية الداعمة للمتقاتلين لوقف تقديم الأسلحة لهم. وهو أمر يستلزم استمرار المبادرات الدولية والإقليمية العاملة على رأب الصدع ودفع المتقاتلين للجلوس على مائدة الحوار، ومن ثم فإن أولى خطوات إنقاذ السودان هي موافقة الفرقاء المتقاتلين على وقف الحرب والبدء في التفاوض السياسي والتخلي عن المطامع التي كانت سببا في الخصومة.

ولاشك أن نتائج المعارك على أرض الواقع ستلعب دورها في توجيه دفة التفاوض بشكل يرسم ملامح جديدة لحكم السودان وإدارته، وهو ما تكشفه الفترة المقبلة. ■

الفريق عبد الفتاح البرهان

محمد حمدان دقلو الملقب بـ«حميدتي»

إسماعيل هنية... روح وطنية وإحساس قائد متميز بالمسؤولية

معن بشور*

نعى الاستاذ معن بشور رئيس المركز العربي للتواصل والتضامن، الرئيس المؤسس للمنتدى القومي العربي، المنسق العام لتجمع اللجان والروابط الشعبية، المنسق العام للحملة الاهلية لنصرة فلسطين وقضايا الامة ، المجاهد الكبير الشهيد إسماعيل هنية بالكلمات التالية:

حين كان القائد الكبير والمجاهد الصلب، والمؤمن المحتسب يستقبل المباركين له والمعزين باستشهاد أولاده واحفاده واخوانه واخواته كان يردد كلمة واحدة:«كل أبناء فلسطين هم ابنائي، وكل شهداء فلسطين هم عائلتي»، وكان بهذه الكلمات يعبر عن روح وطنية عالية، وعن إحساس متميز بالمسؤولية وعن ادراك حقيقي لدور للقائد الذي يعتبر كل مواطن من أبناء شعبه ابناً من أبنائه أو أخاً من اخوانه.

إسماعيل هنية هذا الحاج المجاهد البطل، كان، ككل، اخوانه في قادة المقاومة ومناضليها هدفاً للعدو منذ ان اعتقل ومنذ ان نفي ، ومنذ ان واجه كل اشكال التهديد ادراكاً من العدو لخطورة الروح الوحدوية لهذا المجاهد الوحدوية، ولقدرته على بناء مقاومة صلبة مستندة الى كل شعب فلسطين وانفتاحه على كل قوى الامة، فهذا العقل والأداء القيادي يشكل خطراً بدون شك على العدو الذي يدرك ان قوته في ضعفنا، وان ضعفنا مستمد اساساً من حال الفرقة والانقسام والاقتتال والاحتراب بين أبناء الامة وتياراتها.

حين كنا نلتقي بالحاج أبو العبد كنا نلمس في هذا الرجل الكبير تواضعاً جماً، ودماثة مميزة ، تغلف صلابة غير معهودة، وايماناً بالله كبير وبحق شعبه بالحرية ايضاً كبير.

ولذلك كان إسماعيل هنية يستقبلك بوجه باسم، واثق من انتصار قضيته، مدركاً انه ابن شعب قدم عشرات الالاف من الشهداء، اليوم في غزة وبالأمس في كل ارض فلسطين وفي ارض الشتات.

لم يكن الشهيد الكبير إسماعيل هنية اول قائد تقدمه (حماس) على طريق الشهادة ولم يكن اول قائد فلسطيني تقدمه فلسطين على طريق الشهادة، ولن يكون اخر قائد فلسطيني، لكن شهادته جاءت اليوم تتويجاً لملحمة ما زالت مستمرة منذ 300 يوماً، ملحمة تكاد تغير وجه المنطقة، بل تسهم في تغيير وجه العالم.

لذلك نودع أبا العبد بابتسامته الساحرة وبثقافته العالية وبإيمانه الكبير ونقول له كما كنا دائماً على العهد مع فلسطين ومقاومتها وابطالها سنبقى على العهد حتى اخر يوم في حياتنا لأن حياة عربية وإسلامية في ظل فلسطين محتلة ومقهورة هي حياة ذليلة لا يقبلها أي كريم وأي مؤمن بحق شعبه.

رحم الله أبا العبد، رحم الله مرافقه الشهيد،

رحم الله كل شهداء غزة وفلسطين بل كل شهداء المقاومة على طول جبهة المقاومة بإذن الله.

□■□

عملية «يافا» البطولية

■ صدر عن الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي بيان حول قرار الكنيست الصهيوني سحب الكيان اعترافه بدولة فلسطين، وحول عملية «يافا» النوعية التي نفذتها القوات المسلحة اليمنية :

أولاً: ان قرار الكنيست الصهيوني بسحب الاعتراف بدولة فلسطين هو صفعة في وجه منظومة التطبيع وتأكيد على صحة خيار المقاومة وتأكيد على ان الحلول التي يتم تدبيجها للشعب الفلسطيني ليست إلاّ ذراً للرماد في العيون ، وان هذه الخطوة هي تحضير لمزيد من اعمال القتل والتهجير للشعب الفلسطيني من كل فلسطين ، في غزة والضفة والأراضي المحتلة عام 1948.

وقد دعا المؤتمر كافة الدول العربية والإسلامية الى انهاء كل اشكال العلاقات والتعاون والتطبيع مع الكيان الصهيوني والعمل مع الدول الصديقة على عزل هذا الكيان دولياً، وسحب الاعتراف به لانتهاكه الصريح لقرارات الشرعية الدولية، كما السعي لطرده من المنظمات الدولية كافة وفي مقدمها الامم المتحدة ، واحالة حكامه مجرمي الحرب الى الملاحقة القانونية والمحاكمة.

ثانياً: يحيّي المؤتمر القومي العربي العملية البطولية التي قامت بها القوات المسلحة اليمنية بارسالها مسيّرة تجاوزت اكثر من الفي كيلو متر ، وكافة العوائق الصهيونية والأميركية لتضرب في قلب تل ابيب (عاصمة الكيان الصهيوني) ولتؤكد أن جبهة المقاومة تتسع ، كماً ونوعاً، في فلسطين واكناف فلسطين وتخطو خطوات استراتيجية هامة ونقلة نوعية في مواجهة عدو الامة العربية وقد أحدثت ما أحدثته في كيانه.

كما حيّا المؤتمر القومي العربي اعلان القيادة اليمنية ان عاصمة الكيان الصهيوني (تل ابيب) مدينة غير آمنة ودعى قوى الامة كافة للانخراط في معركة الشرف والكرامة التي تدور رحاها منذ السابع من أكتوبر 2023 ، مؤكداً ان الرهان على التسويات والاتفاقات الموعودة هو سراب بسراب ، وان الرد الموجع للاحتلال هو في الميدان كما نرى في فلسطين وجنوب لبنان واليمن والعراق وكافة ساحات المقاومة.

كما دعا المؤتمر القومي العربي الحركة الشعبية العربية بكل مكوناتها الى الارتقاء بنضالها المساند للمقاومة الى المستوى القادر على الضغط على الحكام المتواطئين والمتخاذلين والتأكيد لشعبنا الفلسطيني البطل وللمقاومين البواسل انهم ليسوا وحدهم.

واشاد المؤتمر العربي العام الذي يضم المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الاسلامي والمؤتمر العام للأحزاب العربية ومؤسسة القدس الدولية والجبهة العربية التقدمية ، بتوصية محكمة العدل الدولية برفض سياسة الاستيطان الصهيونية في الضفة الغربية والقدس الشرقية التي تنتهك القانون الدولي ، فهذه هي المرة الأولى التي يصدر فيها موقف عن محكمة العدل الدولية بشأن الاحتلال الصهيوني المستمر منذ عام 1967 لاراضٍ فلسطينية ، واعتباره احتلالاً غير قانوني.

ويؤكد المؤتمر بأن هذا القرار ، وان كان منقوصاً ، الا انه قرار مهم يكشف ادعاءات الكيان الصهيوني الكاذبة ويدحض سرديته بيهودية كامل تراب فلسطين ، ويرسخ حق الشعب الفلسطيني بجزء من أرضه كمقدمة لتحرير كامل التراب الفلسطيني، وما اعتراض الكيان الصهيوني وراعيته الولايات المتحدة على هذا القرار الاّ دليلاً واضحاً على اهميته واسهامه في استفادة الشعب الفلسطيني منه في معركته النضالية امام المحافل الدولية والرأي العام العالمي.

كما يدعو المؤتمر العربي العام الدول العربية الى المجاهرة بتبني هذه التوصية والعمل الدؤوب لتحويلها الى قرار في الجمعية العامة للامم المتحدة وتنفيذه ، وخصوصاً ما نص عليه القرار من ضرورة تنفيذ المادة 49 من اتفاقية جنيف والقاضية بمنع العدو من الاستيطان في الضفة الغربية والقدس وعدم تهجير الفلسطينين من الاراضي التي احتلت عام 67.

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

وساطة عراقية معطوفة على أخرى روسية تمهد لقمّة بين الأسد وأردوغان

أنقرة ـ دمشق: سرّ التقارب الطارئ!

محمد قواص*

أعطت تركيا في الأشهر الأخيرة مجموعة من المؤشّرات المتراكمة التي تدل على استقرار في الشكل لمقاربة جديدة حيال سوريا تقوم على انفتاح مع دمشق ومضيّ في مسار تطبيع العلاقات مع النظام السياسي في سوريا. والأرجح أن هذا التحوّل يأتي متناسبا مع مؤشّرات أُخرى صدرت عن دمشق تشي بتقدّم مباحثات خلفية بين البلدين من أجل تجاوز مرحلة القطيعة منذ عام 2012. وفيما لاحت وساطة عراقية جديدة إلى جانب وساطة روسيا التقليدية في هذا الملف، إلا أن لهذا التطوّر أبعادا وتداعيات على شكل المشهدين الإقليمي والدولي وخرائطه.

المؤشرات الإيجابية

توّج الرئيس رجب طيب أردوغان مؤشّرات التقارب بين تركيا وسوريا في تصريح أدلى به، في 28 حزيران (يونيو) قال فيه إنه «لا يوجد أي سبب لعدم إقامة علاقات بين تركيا وسوريا». وجاءت تصريحات أردوغان تعليقاً على تصريح صدر عن الرئيس السوري بشّار الأسد، في 26 من الشهر نفسه خلال لقاء جمعه مع المبعوث الخاص للرئيس الروسي ألكسندر لافرنتييف في دمشق، قال فيه بأن "سوريا منفتحة على جميع المبادرات التي تهدف إلى تحسين علاقاتها مع تركيا".

وتُعتبر تصريحات الرئيسين المتعاقبة أعلى مستويات التعبير عن تحوّل كبير حصل في دمشق وأنقرة مخالفا لسلسلة المواقف العدائية والمتشنّجة والمشكّكة التي شابت مواقف العاصمتين والرئيسين حيال احتمالات التقارب والمصالحة خلال السنوات السابقة. وقد رأى أردوغان في موقفه الجديد أنه «لا يوجد سبب لعدم إقامة العلاقات بين البلدين ومستعدون للعمل معاً على تطوير هذه العلاقات مع سوريا بنفس الطريقة التي عملنا بها في الماضي».

وذهب الرئيس التركي إلى الإشارة بأنه «لا يمكن أن يكون لدينا أبدا أية نيّة أو هدف مثل التدخل في الشؤون الداخلية لسوريا"، مذكّراً بعلاقات جيدة بين البلدين في الماضي و بأنه عقدنا لقاءات (في الماضي) مع السيد (بشار) الأسد، وحتى لقاءات عائلية، ويستحيل أن نقول إن ذلك لن يحدث في المستقبل، بل يمكن أن يحدث مرة أخرى».

وكان سبق تصريحي الرئيسين، السوري والتركي، موقف أدلى به وزير خارجية تركيا هاكان فيدان، في 24 حزيران (يونيو) الماضي، قال فيه إن "تركيا تريد من النظام السوري استغلال حالة الهدوء ووقف إطلاق النار الحاصل «لحل المشكلات الدستورية» و«تحقيق السلام مع معارضيه». وأشار إلى أن أنقرة لا ترى أن النظام «يستفيد من ذلك بما فيه الكفاية» وأكد على أهمية «توحيد سوريا حكومة ومعارضة"، «من أجل مكافحة الإرهاب في الحرب ضد حزب العمال الكردستاني».

وقد أثار موقف الوزير التركي جدلا في صفوف المعارضة السورية، لا سيما لجهة دعوته إلى وحدتها مع النظام من دون شرح مسار احتمال من هذا النوع وشروطه. وبغضّ النظر عن هذا الجانب، فإن مواقف الوزير والرئيس التركيين بإمكانها أن تكون ثمرة مباحثات خلفية ناقشت أبرز ملفات الخلافات بين دمشق وأنقرة وقد تقود إلى عقد قمّة بين الأسد وأردوغان.

وكانت محاولات بذلتها روسيا سابقا لم تنجح في إقناع البلدين في إنجاز تقارب على الرغم من لقاءات جرت بين أجهزة المخابرات وتطوّرت إلى لقاء جمع وزيري خارجية ودفاع البلدين برعاية روسية. وقد وصلت محاولات التطبيع إلى طريق مسدود مع إصرار دمشق على شرط مسبق يتمثل بانسحاب القوات التركية من الأراضي السورية. بالمقابل فإن أنقرة كانت رفضت هذا الشرط واعتبرت أن وجودها في شمال سوريا هو لدواعي دفع الخطر الذي يشكّله «حزب العمال الكردستاني» على أمنها القومي.

وتعتبر المواقف التركية الجديدة تطوّرا لافتا مختلفا تماما عن الثوابت التي ردّدتها أنقرة في مقاربة العلاقات التركية السورية. ورغم التقاط تغيّر في لهجة أنقرة حيال دمشق وودّ في تناول أردوغان لاحتمالات عودة العلاقات بين البلدين، غير أن تصريحات وزير الخارجية التركي قد لا تختلف في المضمون عن مواقف كان أدلى بها سلفه مولو جاويش أوغلو خصوصا لجهة التأكيد على المصالحة وتوحيد النظام والمعارضة.

وكان وزير الخارجية التركي السابق قد تحدث عن هذه الأهداف، في آب (أغسطس) 2022، ما أثار حينها غضبا واسعا في صفوف المعارضة في شمال سوريا ظهرت خصوصا من خلال مظاهرات شعبية. وكان جاويش أوغلو اعتبر حينها أنه «من الضروري تحقيق مصالحة بين المعارضة والنظام في سوريا، بطريقة ما»، وقال إنه «لن يكون هناك سلام دائم في سوريا دون تحقيق المصالحة». فيما أشار وزير الخارجية الحالي في تصريحاته الأخيرة إلى أن «ما نريده أن يقيّم النظام السوري هذه الفترة من حالة عدم الصراع بعقلانية، وأن يستغل كل هذه السنوات كفرصة لحل مشكلاته الدستورية»، بما عبّر عن ثبات وليس تبدّلا في الموقف التركي.

وتوفّر تصريحات الرئيسين التركي والروسي بيئة راعية لمباحثات تجري على مستويات مختلفة ومن خلال وساطات متعدّدة (آخرها وساطة رئيس الوزراء العراقي محمد شيّاع السوداني) من دون أن تلامس مادة الخلاف. فيما بالمقابل، وتحريًا للموقف التركي الحقيقي، فإن ما صدر عن وزارة الخارجية في عهد جاويش أوغلو كما في عهد فيدان يعبّر بشكل واضح عن موقف أنقرة حيال ملفات الخلاف. كما أن تصريحات الجانبين الأخيرة أتت دائما على خلفية علاقات البلدين مع روسيا وتعليقا على سعيّها للتقارب بينهما. فإذا ما جاءت تصريحات الأسد في حضور المبعوث الروسي، فإن مواقف فيدان أتت بعد لقاء جمعه بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين في موسكو في 11 حزيران (يونيو) الماضي.

ما هي سياسة أنقرة؟

تقوم مقاربة تركيا لتوحيد النظام والمعارضة على ثوابت في سياسة أنقرة حيال المسألة السورية تتعلق بالموقف من قيام كيان كردي في شمال سوريا على الحدود مع تركيا يكون تابعا لـ "حزب العمال الكردستاني" المصنّف تنظيما إرهابيا. ويمكن ملاحظة أن موقف أنقرة قد تحوّل منذ اندلاع الأزمة في سوريا من مساندة المعارضة وتطبيق القرار الأممي رقم 2254 كأولوية، إلى أولوية أخرى أكثر إلحاحاً تتعلّق بالأمن القومي التركي هدفها القضاء، عبر الأدوات العسكرية، أو الدبلوماسية الدولية، أو «الحلّ السوري» بين نظام ومعارضة لتقويض طموحات «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) و «حزب الاتحاد الديمقراطي» من ورائها لإقامة كيان قد يكون مشابها لسابقة قيام إقليم كردستان في شمال العراق.

ويؤكد خبراء في الشؤون التركية أن تقديم تركيا ملف المعضلة التركية على كافة الملفات، ولأسباب تركية ذاتية، يعيد تموضع أنقرة في موقع الدولة التي تدافع عن حقوقها ومصالحها لا في موقع المدافع عن حقوق المعارضة السورية ومصالحها ضد النظام. وهذا تحوّل يمكن أن يكون مفهوما من قبل النظام السوري، لا سيما أنه ينطوي على اعتراف من قبل أنقرة بالدولة السورية الحالية وشرعيتها ودورها في الحفاظ على أمن الحدود بين البلدين. ومع ذلك فإن أنقرة تدرك أن الأمر ليس تقنيا يمكن حلّه فقط باتفاقات جديدة أو العودة إلى تنفيذ اتفاق أضنة المُبرم بين الطرفين في عام 1998.

الرياض عيّنت سفيرا في دمشق ما يوفّر بيئة مصالحة تركية سورية

ثوابت تركيا

تلفت بعض التحليلات في تركيا إلى العوامل التالية في سياسة تركيا حيال سوريا:

-1 أنقرة ما زالت ترى أن أمن حدودها مع سوريا لا يمكن أن يتحقّق إلا من خلال حلّ جذري ونهائي للأزمة في سوريا.

-2 الموقف التركي من العلاقة بين النظام والمعارضة السورية لم يتغير وهو على حاله منذ سنوات.

-3 تركيا تريد حلا سياسيا في سوريا وفقا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254 الذي ينصّ على تشكيل حكومة انتقالية ومصالحة بين النظام والمعارضة السورية.

-4 دعوة الوزير فيدان (وقبله جاويش أوغلو) إلى مصالحة النظام مع معارضيه تؤكّد أن تركيا بنّاءة وداعمة للحل السياسي، وأن المشكلة في دمشق التي ترفض الدخول في أي حوار بنّاء مع المعارضة السورية.

وتعتبر مصادر تركية مراقبة أن السياسة التركية حيال سوريا، وعلى الرغم من تأثّر التعبير عنها، بالتحوّلات والتكتيكات الظرفية، تقوم على عدّة قواعد:

أ ـ العمل على إقامة حلّ سياسي في سوريا ينهي الصراع المتفاقم على حدودها. وفيما لم تنجح المساعي الأممية ولا المقاربات الروسية والإيرانية في فرض أمر واقع يحسم الصراع، وبالنظر إلى الموقف الأميركي الأوروبي الغربي الرافض لأي تعامل مع دمشق قبل الشروع بعملية سياسية جدّية، فإن تركيا ما زالت ترى في القرار الأممي 2254 مدخلا وحيدا حتى الآن للحلّ مع الدفع باتجاه الحوار بين السوريين لإنضاج تسوية خلاقة.

ب ـ العمل على دعم وحدة الأراضي السورية ورفض أي سيناريوهات تقسيمية للبلاد، وخصوصا قيام كيان كردي مستقل أو يحظى بحكم ذاتي منفصل القرار والأجندة عن الدولة في سوريا. وسواء تحقّق الأمر بأدوات سورية أم تعذّر ذلك بسبب الانقسام الداخلي، فإن تركيا لن تسمح بإقامة «دويلة للعمال الكردستاني في سوريا»، وفق ما يُتشر من مواقف، وأن الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا الحالية تشكل تهديدا لسلامة الأراضي السورية، وأن الحفاظ على وحدة الأراضي السورية سيضمن الأمن القومي التركي.

«

الأسد: سوريا منفتحة على علاقات مع تركيا

أردوغان : لا شيء يمنع من إقامة علاقات طبيعية مع سوريا

رئيس وزراء العراق: نعمل على وساطة بين أنقرة ودمشق

ج ـ العمل على إدارة أكثر تشدّدا لملف الهجرة من سوريا. ويجري ذلك من خلال إعادة تنظيم وقوننة الوجود السوري فوق الأراضي التركية، ومن خلال اتّخاذ إجراءات ميدانية لمنع تدفق موجات جديدة من المهاجرين وتسهيل العودة الطوعية للاجئين السوريين إلى بلادهم.

تحدثت الأنباء عن استئناف أنقرة ودمشق محادثات كانت مجمدة بوساطة من موسكو. وجرت المحادثات على المستوى العسكري على أن يجري اجتماع آخر لاحقا في بغداد.

ورغم أن مستوى المحادثات وأهدافها المعلنة بدت ميدانية تتعلق بالشمال السوري، غير أن الأمر جرى بعد لقاء وزير خارجية تركيا بالرئيس الروسي في موسكو وفي أعقاب حديث رئيس حكومة العراق عن مبادرة لتطبيع العلاقات التركية السورية. فكيف نفهم هذا التطوّر داخل السياق العام؟

في هذا السياق نقلت وكالة "نوفوستي" الروسية عن مصادر تركية أن وفدين عسكريين، سوري وتركي، أجريا، بوساطة روسية، مفاوضات في 11 حزيران (يونيو) في قاعدة "حميميم" الجوية غرب سوريا، وهو أول اجتماع من نوعه بشأن القضايا الأمنية على الأراضي السورية. وقالت المصادر إنه من المتوقع أن يعقد الاجتماع المقبل في بغداد. وقالت الوكالة أن المعلومات نشرتها صحيفة تركية نقلا عن مصادر مقربة من الحكومة السورية،

ولفت المراقبون أن الإعلان عن أن اللقاء المقبل بين الوفدين سيعقد في العاصمة العراقية بغداد يلتقي مع سياق جهود رئيس الحكومة العراقية محمد شياع السوداني لرأب الصدع بين سوريا وتركيا. وكان السوداني كشف آخر أيار (مايو) الماضي، في مقابلة مع قناة «خبر ترك» التركية الخاصة، أن بلاده تعمل على المصالحة بين تركيا وسوريا وأن خطوات قريبة سترى النور، وأنه على اتصال مستمر مع الرئيسين السوري والتركي لتحقيق ذلك. أضاف: «نحاول التوصل إلى أساس مماثل للمصالحة السعودية الإيرانية بين سوريا وتركيا».

وقد ذكرت مصادر «نوفوستي» أن اللقاء في «حميميم» جرى في اليوم التالي للقاء بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ووزير الخارجية التركي هاكان فيدان في موسكو. كان رئيس التركي رجب طيب أردوغان كشف في هذا الصدد أن فيدان بحث بالتفصيل، خلال زيارته إلى موسكو، مع بوتين موضوع الانتخابات في مناطق الأكراد في سوريا. وأضاف أنه يأمل «أن لا تتمكن منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية وغيرها من العمل بحرية في سوريا».

واللافت أن بوتين قال في تصريحه أيضاً إن الحكومة السورية «لن تمنحهم (الأكراد) الإذن بإجراء الانتخابات أو القيام بحرية بخطوات في هذا الاتجاه»، بما اعتبر تحوّل في موقف أردوغان واعتراف بدور لدمشق في هذا الصدد. وكان من المقرر إجراء انتخابات الإدارة الذاتية الكردية في شمال سوريا في 11 حزيران (يونيو)، لكن تم تأجيلها إلى 8 آب (أغسطس). وذكرت تركيا مرارا أنها لن تسمح بحدوثها، محذرة من احتمال القيام بعملية عسكرية في المنطقة الحدودية.

مرونة الطرفين

وترجح بعض التحليلات وجود تنسيق مكثّف بين موسكو وبغداد لإعادة إطلاق جهود لتطبيع العلاقات التركية السورية. وكان عقد اجتماع لوزراء خارجية روسيا وسوريا وإيران وتركيا في موسكو في 10 أيار (مايو) 2023 لوضع خطّة مشتركة لمصالحة بين دمشق وأنقرة، لكن الجهود توقفت بعد تعذّر لقاء الرئيسين التركي والسوري. وكانت روسيا قد قدمت خريطة طريق لتطبيع العلاقات بين البلدين تشمل، حسب وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، حل مشكلة استعادة الحكومة السورية السيطرة على جميع أنحاء البلاد، وضمان أمن الحدود السورية التركية، والقضاء على احتمال وقوع هجمات عبر الحدود وتسلل الإرهابيين.

وفي حزيران (يونيو) الماضي نشرت صحيفة "يني شفق" التركية المعارضة، أن أنقرة نجحت نسبيا في التفاهم مع دمشق لمواجهة العديد من التحديات التي تواجه البلدين وأن ذلك ربما يؤدي إلى استقرار المنطقة. وتحدثت الصحيفة عن معطيات تفيد بانسحاب أميركي من سوريا دفع كافة الأطراف إلى الاستعداد لما بعد المرحلة الأميركية والتموضع وفق تحوّلات إقليمية ودولية مقبلة.

يذكر أن وزير الخارجية السوري فيصل المقداد كان أعلن في 5 حزيران (يونيو)، وبحضور نظيره الإيراني آنذاك، علي باقري كني، أن «تعبير تركيا عن استعدادها للانسحاب من الأراضي السورية ممكن أن يكون كافيا لإعادة العلاقات بين البلدين». واعتبر الموقف الجديد تراجعا من قبل دمشق عن شرطها السابق بالانسحاب الكامل قبل أي تطبيع.

ورغم خطوات التقارب فما زالت مصادر سورية تستبعد لقاء بين الرئيسين التركي والسوري قبل تحقيق تقدم في عدّة ملفات سيتمّ التفاوض بشأنها على مستويات أمنية ودبلوماسية مختلفة. بالمقابل قالت مصادر تركية مراقبة أن أنقرة تفضل مفاوضات مباشرة مع دمشق من دون آلية تكون طهران جزءا منها. وتعتبر هذه المصادر أن طهران أظهرت ضيقا من التقارب بين تركيا والعراق وأنها قد تعمل على عرقلة تقارب بين تركيا وسوريا.

-بالمقابل تعتقد مصادر مقرّبة من دمشق أن واشنطن تنظر بعين القلق إلى الجهود التي تبذلها روسيا والعراق من أجل تقارب بين تركيا وسوريا، فيما ترى مصادر تركية أن واشنطن غير مرتاحة لتطوّر العلاقات بين تركيا والعراق والتي أدت أيضا إلى التحوّلات الجديدة في ترتيب علاقات دمشق وأنقرة.

وساطة العراق

في حزيران (يونيو) أعلن رئيس الحكومة العراقي محمد شياع السوداني عن مساعيّ تجريها بلاده من أجل تحقيق مصالحة بين دمشق وأنقرة على منوال المصالحة التي جرت بين طهران والرياض. وفيما لم يصدر ما ينفيّ هذا المسار من الجانب التركي فإن التطوّر طرح آنذاك أسئلة بشأن توقيت الأمر ومدى استعداد نظام الأسد ونظام أردوغان للقفز نحو المصالحة إضافة إلى ما سيعنيه ذلك على مستوى التوازنات الإقليمية والدولية في سوريا.

وقد أعلن رئيس الوزراء العراقي، في مقابلة مع قناة "خبر ترك" التركية الخاصة أن بلاده تعمل على المصالحة بين تركيا وسوريا وأن خطوات قريبة سترى النور، وأنه على اتصال مستمر مع الرئيسين السوري والتركي لتحقيق ذلك. أضاف: "نحاول التوصل إلى أساس مماثل للمصالحة السعودية الإيرانية بين سوريا وتركيا".

وكانت بغداد قد استضافت في عهد رئيس الوزراء العراقي السابق مصطفى الكاظمي سلسة جولات من الحوار بين الرياض وطهران بدأت في كانون الأول (ديسمبر) 2019 وانتهت إلى إبرام اتفاق بين البلدين في بكين برعاية صينية في 10 مارس 2023. ويعتمد محمد شياع السوداني على علاقات ثقّة تمّ بناؤها بين الرئيسين السوري والتركي من خلال زيارات وتواصل خلال فترة عهده، سواء منذ زيارته دمشق عام 2022 ولقائه الرئيس السوري كأول سابقة لرئيس عراقي منذ 13 عاما، أم لقاءاته مع الرئيس التركي التي توّجت بالزيارة التي وصفت بالتاريخية التي قام بها أردوغان إلى بغداد في نيسان (أبريل) الماضي.

واللافت أن رئيس الوزراء العراقي شدد على أن مصادر التهديدات الأمنية التي تواجه العراق وتركيا من سوريا تنبع من المناطق التي لا تسيطر عليها الدولة السورية بحسب تعبيره. ما يعني أن عودة الدولة إلى هذه المناطق يحتاج إلى تسوية داخلية ما زالت غير واضحة العالم.

أتت الوساطة العراقية معطوفة على وساطة كانت روسيا قد حاولتها بين أنقرة ودمشق ونجحت في ترتيب اجتماعات لمسؤولي الأجهزة الأمنية السورية والتركية، وصولا إلى لقاء وزيري خارجية البلدين في موسكو في مايو 2023. ورغم تداول أنباء آنذاك عن لقاء محتمل بين الرئيسين السوري والتركي غير أن الأمر لم يحصل وتوقفت وساطة موسكو عند هذا الحدّ.

والظاهر أن التحفّظ كان سوريا ويدل على ذلك ما قاله الرئيس الأسد في مقابلة مع وكالة «سبوتنيك» الروسية خلال زيارته موسكو في آب (اغسطس) 2023 من أنه لا جدوى من الاجتماع مع الرئيس التركي حتى تنهي أنقرة الاحتلال غير الشرعي للأراضي السورية، مطالباً الإدارة التركية بوقف دعم الإرهاب.

واشنطن ـ الرياض

ويدور الوفد السوري التركيز حول إصرار دمشق على انسحاب كامل للقوات التركية من شمال سوريا مقابل إصرار تركيا على وجود عسكري يمنع أي «كيان إرهابي» من تهديد أمن تركيا، في إشارة إلى المناطق التي تسيطر عليها "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) ذات الطابع الكردي في شمال شرق سوريا والتي تعتبرها أنقرة امتداد لحزب العمال الكردستاني التركي PKK المصنّف إرهابيا.

وقد تزامن إعلان السوداني مع إعلان «قسد» عن إجراء انتخابات بلدية في 11 حزيران (يونيو) التي تمّ تأجيلها لاحقا، في مناطق تواجد الأكراد في شمال سوريا. وتعارض أنقرة بشدة هذا التوجه وتعتبره محاولة لتقسيم سوريا وإقامة حتى إقليم كردستان في شمال سوريا بدعم أمريكي.

والواضح أن تحوّلا قد استجد في موقف تركيا من الانسحاب من شمال سوريا. فقد قال وزير الدفاع التركي، يشار غولر، في حزيران (يونيو)، إن تركيا قد تفكر في سحب قواتها من سوريا بمجرد ضمان أمن الحدود التركية بالكامل. ولفت إلى أن المشكلات نشأت في المنطقة بسبب فراغ السلطة الذي خلقته الحكومة السورية، ولو كان لديهم القدرة على السيطرة على المنطقة الحدودية لما وصل الوضع إلى هذا الحد. وعُدّ هذا التصريح بمثابة عرض قد تحمله المبادرة العراقية إلى دمشق.

وتختلف تصريحات الوزير التركي عن تلك في كانون الأول (ديسمبر) 2023 التي قال فيها إن لبلاده شرطين لسحب القوات التركية هما: وضع دستور جديد، وإجراء انتخابات حرة نزيهة. وقال إن "هذين الشرطين قد يمهدان الطريق لإنهاء الصراع المستمر في سوريا لأكثر من 10 سنوات". وأكد أن أي سلطة ستأتي مستقبلاً إلى سوريا بعد تعديل الدستور وإجراء انتخابات حرة، ستقبل بها تركيا ومن ثم ستسحب قواتها من هناك.

أتى تحرّك السوداني غير بعيد عن زيارة مهمة قام بها إلى الولايات المتحدة في نيسان (أبريل) الماضي أعاد من خلالها التأكيد على متانة علاقات بغداد وواشنطن. والتحرّك غير بعيد عن نقاش في الولايات المتحدة بشأن انسحاب القوات الأميركية من سوريا. وإضافة إلى الخلفية الأميركية المحتملة، فإن هناك جانبا اقتصاديا لافتا. فأثناء زيارة أردوغان إلى بغداد أشرف والسوداني على توقيع مذكرة تفاهم رباعية إلى جانب كل من الإمارات وقطر للتعاون في تنفيذ مشروع "طريق التنمية". وهو مشروع طموح يصل ميناء الفاو بتركيا. وتحدّثت أنباء عن رفض واشنطن إشراك سوريا في المشروع من خلال ربط ميناء الفاو بالموانئ السورية. غير أن كثير من طموحات التنمية بين العراق وتركيا باتت تحتاج إلى علاقات ثلاثية طبيعية تجمعهما مع سوريا لما لمشاريع التنمية من تداخل مع سوريا. واستفاد السوداني أيضا من أجواء عربية حاضنة، فقد أتى تحركه بعد إعلان السعودية التي تمتلك علاقات جيدة مع رئيس الوزراء العراقي والرئيس التركي تعيين سفير لها لدى دمشق إثر لقاء جمع ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان والرئيس السوري بشار الأسد في المنامة على هامش القمّة العربية الأخيرة. ■

* صحافي وكاتب سياسي

غزة التي ظلت معلقة على الصليب..!

أكرم عطاالله : فلسطين

أوائل مارس الماضي وعندما كانت المجاعة تطحن السكان في القسم الشمالي وفقاً للتقسيم الإسرائيلي الذي أقامته بعد فصل قطاع غزة لنصفقين يفصلهما ممر نتساريم بطول سبعة كيلومترات هي عرض المنطقة الوسطى من قطاع غزة وفي ذروة تلك المجاعة التي أكلت الناس فيها أعلاف الحيوانات أعلن الرئيس الأميركي جو بايدن عن إقامة رصيف عائم لإدخال المساعدات ذلك الرصيف الذي يقع في الشمال.

كانت كارثة إنسانية فاجعة لم يجرؤ خلالها أحد أن يتساءل عن جدوى وأهداف الرصيف لأن في الأمر ما جعله مدعاة للشك فلا أحد يصدق أن الولايات المتحدة غير قادرة على إدخال المساعدات براً عن طريق المعابر الحدودية أو إلزام اسرائيل بذلك بل فعلها الرئيس الأميركي مرة ، وفي منتصف إيار مايو الماضي كان قد تم الإعلان عن بدء تشغيل الرصيف العائم وسط تشكيك بقدرته على تلبية الإحتياجات .

ظل السؤال الحائر لماذا تدفع الولايات المتحدة ما يقارب من ثلث مليار دولار لبنائه 320 مليون في حين أن البدائل أسرع وأكثر ضمانة وسهولة وخصوصا بعد أن انفصلت بعض أجزاء الرصيف ليتم سحبها إلى ميناء أسدود لإجراء عمليات صيانة إلى الحد الذي أعلن الشهر الماضي أن المشروع فشل وأن واشنطن ستقوم بتفكيكه قبل أن يعود للعمل وسط تصريحات متضاربة .

وبمعزل عن لغز الرصيف الملىء بالتساؤلات والذي لم يحل بعد لكن المجاعة تعود لتضرب شمال القطاع مرة أخرى ويعود السكان للتضور جوعا فهل عجزت الولايات المتحدة عن إنهاء المجاعة ؟ أم أن للرصيف أهداف أخرى وأن الكارثة مجرد ساتر لترتيب الأمر الذي حرصت واشنطن على استئذان حركة حماس قبل إقامته.

من يعرف غزة جيداً يدرك أن ما يحدث هناك أهوال لا يتحملها البشر حيث الحرارة المرتفعة جداً ولا كهرباء وما يفاقم المأساة هي الرطوبة العالية في غزة التي تقع على شاطىء البحر حيث تم حشر الناس في شريط ضيق غرب مدينتي رفح وخانيونس ما تسمى منطقة المواصي والأهم من ذلك أن الناس تعيش في خيام بلاستيكية أو خيام من النايلون تصبح تلك الخيام أشبه الأفران ومع إنعدام المياه بعد تدمير خطوط إمداداتها متعمداً وعدم قدرة الناس على الإستحمام يصبح الأمر كارثياً تهرب الناس من روائح العرق ويحاولون الهروب من روائح أكوام النفايات المنتشرة حيث توقفت البلديات عن خدمة جمعها بل وبات الامر من المستحيلات.

هي ليست حرب بل إبادة منطقة كاملة بكل ما فيها وصناعة أكبر قدر من الحطام للبشر والمباني والأرواح وتدمير الوضع النفسي لمن تبقى فيها بحيث لا يخرج أحد منها إلا مصاباً بجروح نفسية لا تشفى أي تحويل شعب كامل في هذه المنطقة التي تكفلت بإعادة بعث الهوية الوطنية إلى مجموعة سكانية بدائية مشوهة فقد كان الشرط الإبرز لإقامة الحركة الوطنية الفلسطينية هو تعافي المجتمع الفلسطيني من الإنكسار النفسي بعد مرور عقدين على النكبة التي حدثت عام 48 وما واجهه ذلك الجيل من تشتت وترحيل وفقدان ممكنات الحياة .

لا شيء عبث في السياسة الإسرائيلية وتحديداً حين يتعلق الأمر بغزة هذه المنطقة التي تحملت مسؤولية القضية الوطنية وأنتجت أحزابها المقاتلة وتسببت لإسرائيل بكل هذا الصداع المزمن حد جعل رغبتها بالإنتقام لا تساويها رغبة أخرى وتحول الأمر إلى خليط من مشاريع استراتيجية قديمة يتم تنفيذها بنزعة انتقامية متوحشة تعزز قدرة اسرائيل من خلال صناعة الترويع على تنفيذ تلك المشاريع وحيث تعتبر أن اللحظة التاريخية مناسبة تماماً لتنفيذها فقد وفر لها السابع من أكتوبر كما تظن فرصة أمام العالم لتجريف المنطقة وهي تتصرف كالضحية حتى خلال إرتكابها للإبادة التي يقر بها العالم وكذلك المحكمة الدولية ، الولايات المتحدة في أضعف حالاتها وهي في العام الأخير للإنتخابات أو أشهرها الأخيرة والوضع العربي لم يتحول إلى عامل مؤثر في التوازنات الدولية وكان أضعف من أن يوقف حرباً مكتفياً بتبرئة ذمته بالقليل من المساعدات التي تلقيها الطائرات أحياناً وبإذن من اسرائيل.

استمر القصف المروع طوال شهور الحرب فما مارسته اسرائيل هو حملة تعذيب لم يشهدها التاريخ من قبل فالإستهداف للمدنيين جرى مع سابق اصرار وترصد وتنظيم متقن صحيح أن اسرائيل فقدت توازنها وتمارس عملية انتقام مروع لكنه انتقاماً منظما يحمل أبعاداً ودلالات ذات طابع سياسي يهدف كما قال رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو في بداية الحرب أكتوبر الماضي إلى تغيير وعي البشر وما أطلقت عليه سابقاً " كي الوعي " بالإشارة إلى ما حدث في ألمانيا واليابان والتي أفرطت الولايات المتحدة في استعمال قوة صادمة ضد الشعبين.

ففي اليابان ألقت القوات الأميركية في شرق آسيا قنبلتين نوويتين على مدينتي هيروشيما ونجازاكي بفارق إثنتان وسبعون ساعة حرقت فيها أجساد المدنيين والأطفال والمباني والسكان وفي ألمانيا قتلت الطائرات الاميركية في مدينة درسدن شرق ألمانيا وحدها أربعين ألف مدني في ليلة واحدة وكان قد حدث أن أقلعت اليابان عن العسكر وفقدت شهيتها العسكرية ولم تعد لديها الرغبة بتشكيل جيش ليس فقط بسبب الشروط الأميركية التي فرضها الجنرال ماك آرثر على الإمبراطور الياباني هيروهيتو بل لأن اليابان كرهت ذلك بعد ما أصابها من صدمة تركت ندوبا على ذاكرة الإنسانية وكذلك كرهت ألمانيا تاريخها النازي وللأبد وتحول إسم الزعيم النازي أدولف هتلر إلى لعنة في التاريخ الألماني .

هذا الترويع وبهذا التوحش لا يهدف فقط للقتل المباشر الذي توزعه اسرائيل على شوارع ومدن ومخيمات قطاع غزة بل أن التعذيب المخطط الذي يجري بهدف ما أعلنه بنيامين نتنياهو مطلع الحرب ، فقد كان واضحا منذ الأيام الأولى أن كارثة إنسانية ستتجسد ربما تكون خليطاً من درسدن وهيروشيما ونجازاكي وقد كان .... وهذا لم يكن مفاجئاً لدولة يتلبسها هاجس الوجود من شعب لا تفكر إلا بإنهاء وجوده بل أن المفاجأة في العالم الذي وقف متفرجاً ولم يبذل أدنى الجهود لوقف هذه الإبادة وهو العالم الذي ذرف أنهاراً من الدموع على مدينتين تفحمتان ومدن سحقت بسكانها في الحرب العالمية وإذ بنا نكتشف أنها كانت دموع تماسيح إلا إذا كان الأمر يتعلق بجنس ولون البشر وعرقهم وتلك قصة تكفي لمحاكمة كل المنظومة الأخلاقية للعالم لعقود وربما لقرون .

بإرتفاع الأرقام الذي استمر بشكل لافت جداً وهناك بعض التقديرات إلى أن الارقام المعلنة أقل كثيرا من الأرقام الفعلية فهناك من المفقودين ومن لم يتم تسجيلهم في عداد الشهداء والضحايا فلا أحد يعرف تماما عندما يتم قصف منزل من كان يتواجد به بالضبط الناس يقدرون فقط سكان البيت الأصليين لكن لا أحد يعرف كم عدد النازحين من الأقارب كان يضمهم البيت هؤلاء لا يعرف عنهم أحد وكثير من هؤلاء لم يسجلوا ولم يتم معرفتهم ولا معلومات عنهم وباعداد كبيرة في ظل الزلزال الكبير الذي ضرب غزة والنزوح الكبير الذي تم أعاد توزيع سكان قطاع غزة بشكل عشوائي حيث تكدست البيوت والمنازل بالمزيد من الناس الذين ذهبوا ضحايا مجهولين لم يتم تسجيلهم ففي تقرير لها نشرت المجلة الطبية «لانيست» تقريراً قالت فيه «إذا ما شملنا الوفيات المباشرة وغير المباشرة الناجمة عن الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة فإن عدد الضحايا يصل إلى أرقام مفزعة» وقد وضعت المجلة رقما كبيراً وقد صنفت اسرائيل هذه النشرة من المجلة الطبية العالمية بأنها معادية للسامية .

منتصف تموز عاود جيش اسرائيل الهجوم على مدينة غزة وكان لافتاً أن يطلب من سكان مناطق الدرج والتفاح وتل الهوا بمغادرة بيوتهم والرحيل جنوباً عبوراً من حاجز نتساريم نحو الجنوب أي مزيداً من التكدس في المنطقة المكدسة التي طلب جيش اسرائيل في بداية الحرب من سكان الشمال النزوح نحو الجنوب هذا يعني أن مشروع تهجير سكان غزة لم يسقط بعد وتحديداً عندما يتعلق الأمر بالمنطقة الشمالية التي تسعى جاهدة لإفراغها من سكانها فالتجويع شكل من أشكال الضغط اللإنساني الذي تمارسه بهدف تنفيذ مخططها وهنا التساؤل عن جدوى وهدف إنشاء الرصيف العائم الذي أقامته الولايات المتحدة والذي يقع في المنطقة الشمالية عندما تستمر المجاعة .

انتقلت الحرب لتنفيذ أهدافها الإسرائيلية في ظل الصمت الدولي أو الحياد الذي أدى لعدم لجم اسرائيل وهو ما شكل الضوء الأخضر لتذهب أبعد من عمل عسكري انتقامي متوحش نحو الذهاب للإستراتيجيات الكبرى نحو تفريغ القطاع من السكان وإن فشلت تعمل على تقليص عدد سكانه بالحد الذي توفره ظروف فعلها العسكري وقدرة الناس على الصمود والبقاء رغم التعذيب والسحق والمناخ الدولي ومدى العمل خلاله واستغلال المتغيرات التي تنشأ لكن المشروع لم يسقط تماما بإنتظار فعل عسكري أكثر قسوة وبإنتظار الرئيس الأميركي دونالد ترمب الذي كان مجرد خادم لمشاريع بنيامين نتنياهو واليمين في اسرائيل .

كان رئيس وزراء اسرائيل يطبخ ويخطط ويرسم وكان الرئيس الأميركي السابق وبما يمتلكه من قوة ونفوذ دولي يحمل ويسوّق ويُمرر هذا ما ينتظره نتنياهو ولكن إلى أن يأت ذلك فإن اسرائيل تقوم بعملية التأهيل اللازمة من خلال التعذيب والتجويع والترويع فما أن يحدث ذلك المتغير تكون الناس في قطاع غزة قد ذابت وانهارت كل مصداتها النفسية وجاهزة لأي شيء ولأي بديل بما فيه الهجرة وخصوصاً أن صهر الرئيس ترامب جاريد كوشنير كان قد أشار لمصادرة شاطيء غزة من السكان كمنطقة استثمارية وبالنظر لأن تلك الإدارة قادمة من عالم الصفقات والعقارات وغزة وساحلها بنظر إدارة جاهلة لن تكن أكثر من مشروع استثماري وخاصة مع تواجد آبار من الغاز التي لا زالت بكر ولم يجر استثمارها بعد فقط ما تم هو اكتشافها.

مفزعة هي أرقام المجلة الطبية العلمية «لانيست» ومفزع أكثر ما تفعله وتخطط له اسرائيل ومفزع كذلك هذا الصمت الدولي على أحدث وأشرس عملية إبادة تتم بالبث الحي والمباشر ومفزعة حالة الضعف العربي الشديد وهو يرى واحداً من شعوبه تتم إبادته ولكن ما سيقسم ظهر الذاكرة الإنسانية هو حجم التعذيب المنظم الذي يجري يوميا وتجرعه سكان غزة الذين يحسدون الموتى على موتهم هذا ما لن تشفى منه الذاكرة التي عقدت قرانها مع الحزن لشعب فاض تاريخه بالآلام وظل مصلوباً على الخشبة والصليب ولا زالت المسامير تسيل ما يكفي من الدم والألم .

رحيل فارس من فرسان المقاومة

■ رحل إسماعيل هنيه فارس المقاومة العنيد، رحل في جنح الظلام اثر طلقة سددت إليه في الخفاء، رحل رجل المواجهة بصاروخ آستهدف مقرّ إقامته في طهران، والمثير في الأمر انه كان يتوقعها، يتوقع ضربة تأتي في الخفاء، ولم يرهبه ذلك الأحساس على وجه الأطلاق، بدليل انه لم يتراجع عن قضية الجهاد، وهو يدرك ثمنها يدرك انه يسير في درب خطر، ولكنه على قناعة ان ضريبة الجهاد هي الخطر، وهي الموت، وقال في نفسه مرحبا بالموت في سبيل الوطن، فالموت هنا هو الشهادة بعينها .

ان هنيه ليس الاول في مثل تلك المعارك، فقد سبقه مجاهدون، وسوف يلحق به مجاهدون الى ان تتحرر إرادة الوطن وترتفع راية الأستقلال.

نحن لا نوجه كلمة عزاء لأسرته، فحسب ولكن لكل صاحب قضية في الوطن العربي وخارجه، فالحرية هي ملاذنا ونقطة لقائنا

حركة أميركية ـ غربية ـ عربية للتهدئة... والرئاسة معلقة

جبهة الجنوب: سباق بين توسيع الحرب ومساعي الحل

غاصب المختار ـ بيروت

لم يشهد لبنان حركة دبلوماسية ناشطة عربية وغربية، كما شهد الشهرين الماضيين، بهدف منع التصعيد على جبهة الجنوب مع فلسطين المحتلة، بعد اعلان حليفي حزب الله واسرائيل، ايران والولايات المتحدة الاميركية، ان كلاً منهما سيدعم حليفه في حال اندلاع حرب واسعة. فيما بقي موضوع انتخاب رئيس للجمهورية معلّقاً على حبال الخلافات الداخلية اللبنانية وغياب اي مبادرة لبنانية او خارجية قابلة للتنفيذ. وثمة من قال ان لا انتخابات رئاسية قبل نهاية العام 2025 او بداية 2026!

بحسب ما شهدته الفترة الماضية بعد التصعيد الاسرائيلي الواسع في غزة وفي جنوب لبنان والذي ردت عليه فصائل المقاومة بتصعيد مماثل، تحركت الادارة الاميركية بشكل كثيف وضاغط وهي على ابواب الانتخابات الرئاسية، لوقف الاندفاعة الاسرائيلية لكن من دون نتيجة إيجابية تذكربإنتظار التوصل الى "صفقة" مقبولة من الطرفين، فيما تركز جهد الموفدين العرب والغربيين الاخرين ايضاً على الدفع بموضوع انتخاب رئيس للجمهورية في اقرب فرصة، لكن لاحياة لمن تنادي. مع ان قوى المعارضة النيابية تقدمت بإقتراحين جديدين اوائل تموز الماضي، لم يخرجا عن سياق موقفها المعروف من جلسات التشاور لذلك سقطت المبادرة قبل ان يتم طرحهاعلى الكتل النيابية.

وذكر ديبلوماسيون غربيون في بيروت، انه في سياق تصميمها على انهاء الحرب وتغليب الحل السياسي، "كثفت واشنطن ضغوطها في هذا الاتجاه، في موازاة التهديدات الاسرائيلية بالحرب وما يقابلها من استعدادات لهذه الحرب من جانب حزب الله، ونجحت في إبقاء المواجهات على الحدود الجنوبية للبنان، ضمن سياقها من دون توسع اكبر، وفرضت ما بَدا انه التزام غير معلن من قبل الاطراف بذلك، عكسته التسريبات من مسؤولين اميركيين وكبريات الصحف والوكالات الاميركية بأنّ واشنطن تلقّت عبر قنوات مختلفة، إشارات صريحة من قبل إسرائيل والحزب الله بأنّهما لا يريدان توسيع نطاق الحرب.

ورجّح الدبلوماسيون "فرضية الحل الديبلوماسي، فتجنّب الحرب الذي تصمم واشنطن على فَرضه، كمقدمة لحل سياسي، تؤكد عليه ايران ايضًا، التي اعلَنت عبر رسائل مباشرة او غير مباشرة انها لا تريد هذه الحرب. والجديّة الايرانية في هذا التوجه، عكسها وزير الخارجية الاميركية انتوني بلينكن بقوله: ان لا اسرائيل ولا ايران ولا حزب الله يريدون الحرب، وكلام وزير الخارجية الاميركية هذا ليس نابعاً من فراغ.

وأفادت مصادر معنية أن الرهانات على الضغوط والجهود الديبلوماسية المؤثرة، وفي مقدمها الجهود الأميركية والفرنسية ـ الاوروبية والفاتيكانية، تضاعفت في ظل ما شهدته الساحة الديبلوماسية من تطورات وتحركات ومواقف خلال زيارات كبيرمستشاري الطاقة للرئيس الاميركي أموس هوكشتاين ووزيرة خارجية المانيا انالينا بيربوك وامين سر بابا الفاتيكان الكاردينال بييترو بارولين الى بيروت، واتصالات وزير خارجية بريطانيا والنمسا واسبانيا ورئيس قبرص ووزيرخارجيته برئيس الحكومة نجيب ميقاتي، وبدا أن ثمة تقاطعاً قوياً بين الفاتيكان وفرنسا ودول اوربية اخرى والولايات المتحدة الأميركية حول منع تمدد الحرب إلى لبنان.

ماذا طرح هوكشتاين؟

تضاربت المعلومات حول ماطرحه هوكشتاين في بيروت مع الرئيس نبيه بري بشكل خاص ومع الرئيس ميقاتي ووزير الخارجية عبد الله بوحبيب، بعد زيارة الى اسرائيل، حيث تردد انه اقترح إجراءات مؤقتة لتخفيف حدة المواجهات ومنع توسعها، مثل تعهد بأن تتوقف الخروقات الاسرائيلية للقرار 1701، ولكن "مع إستمرار التحليق الاسرائيلي في الاجواء اللبنانية على علو مرتفع جدا ومحدد بحيث لا يمكن مشاهدته بالعين المجردة، وبما يحفظ لإسرائيل حرية مراقبة الوضع، مقابل تراجع قوات حزب الله مسافة ولو قليلة عن الحدود ووقف القصف الثقيل للمستوطنات والمواقع والقواعد والثكنات الاسرائيلية. لكن الاقتراح الاميركي جوبه بالرفض، وتمسك لبنان بموقفه الرافض لأي خرق اسرائيلي للاجواء اللبنانية، كما طرح لبنان شرطا جديدا يتعلق برفض استخدام الاجواء اللبنانية لقصف الاراضي السورية.

وثمة من قال ان هوكشتاين طلب ان يُنقل الى حزب الله عبر الرئيس نبيه بري مقترحاته، والفكرة الاساسية فيها العودة الى ما كان عليه الوضع قبل دخول حزب الله في معركة إسناد ودعم غزة في 8 تشرين الاول الماضي، وخلق نوع من المنطقة الآمنة على الحدود. واضافت المعلومات: ان هوكشتاين طلب اقناع حزب الله عبر برّي بالتأثير على حركة حماس لتتجاوب اكثر مع مشروع الحل الذي طرحه الرئيس الاميركي بايدن لغزة لوقف اطلاق النار ولوموّقتا بما ينعكس تهدئة في جبهة الجنوب.

وقالت مصادر رسمية تابعت عن قرب زيارة الموفد الاميركي الى بيروت لـ «الحصاد»: ان جوهر سبب زيارته الى المنطقة هو يقين الادارة الاميركية ان الكيان الاسرائيلي هومن يقوم بتصعيد الاوضاع سواء في غزة او في جنوب لبنان ويجر المنطقة الى حرب اوسع، مادفع الرئيس بايدن الى ايفاده الى تل ابيب ثم بيروت ثم تل ابيب. لأن هناك مستجدات سياسية سلبية بين اميركا واسرائيل.

واوضحت المصادر، المهم في الزيارة ان هوكشتاين قال «اذا حصل وقف لإطلاق النار في غزة فلدينا خطة فورية لتنفيذ القرار 1701، امافي حال فشل مشروع بايدن فإننا سنبحث عن آلية اخرى لتنفيذه وتهدئة جبهة الجنوب». واستغربت المصادر ما اشيع عن نقل هوكشتاين تهديدات اسرائيلية الى لبنان، وقالت: لونقل التهديدات لكان صدرموقف مختلف من لبنان، وبخاصة من الرئيس بري.

بالمقابل، حذّر هوكشتاين خلال وجوده في فلسطين المحتلة، المسؤولين الإسرائيليين من «احتمال أن تؤدي الحرب مع حزب الله إلى هجوم إيراني واسع يصعب على إسرائيل التصدي له»، بحسب ما نقلت صحيفة "هآرتس" العبرية.

الفاتيكان والمانيا على الخط

الى جانب موفدي الدول الاوروبية، برزت زيارة موفد البابا الكاردينال بارولين الى بيروت، الذي عمل على خطي تهدئة جبهة الجنوب وتسهيل انتخاب رئيس الجمهورية. وحسب معلومات «الحصاد»، فقد نقل رسالة غير مباشرة من البابا مفادها "ان الشرق الاوسط يعيش فترة صعبة جدا والكرسي الرسولي، الذي يقيم علاقات ديبلوماسية منتظمة مع دولة فلسطين وايضا مع اسرائيل، يأمل بأن تقبلا اقتراحات السلام، الكفيلة بوضع حد للغة السلاح من الجانبين وأن ترفع القيود عن المساعدات للشعب الفلسطيني، وان يحترم من جديد القانون الانساني الدولي من قبل كل الاطراف من دون استثناء».

اما حول زيارة وزيرة خارجية المانيا، فعلمت «الحصاد» من مصادر رسمية تابعت زيارة الوزيرة، انها لم تحمل معها اي اقتراح او مشروع الماني او اوروبي او اي موقف جديد، بل كررت ما سبق واعلنته سابقا وما يقوله جميع الموفدين والمسؤولين الدوليين في الخارج، عن ضرورة تلافي الحرب بين لبنان وإسرائيل وخفض مستوى التوتر. وابدت رغبة بلادها في تقديم اي مساعدة ممكنة في هذا الصدد.واوضحت المصادر ان الوزيرة بيربوك إستجمعت في جولتها بدول المنطقة كل المعطيات الممكنة للتوصل إلى حلول للتوتر.

موفد البابا لكادرينال بارولين الى بيروت.. العمل على خطي تهدئة جبهة الجنوب وتسهيل انتخاب رئيس الجمهورية

ومن الجانب العربي، عقد الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية السفير حسام زكي في زيارة لبيروت لقاءات رسمية وسياسية مع الأحزاب، لإستشراف الوضع في ظل الحرب الدائرة في غزة وجنوب لبنان «مستشعرين حجم الوضع الإقليمي المتوتر وما يمكن أن يؤدي اليه من تداعيات سلبية على لبنان نتيجة الحرب الدائرة وكيفية الوصول الى نهاية لهذا الوضع» كما قال. واكد زكي ايضاً "التضامن مع أشقائنا اللبنانيين ومع الدولة اللبنانية في ما تواجهه من مخاطر بخصوص الوضع في الجنوب والحرب مع اسرائيل ، وبغض النظر عن أية امور، الجامعة العربية تقف مع لبنان بشكل كامل».

مع مغادرة السفير حسام زكي بيروت بعدما غادرها أمين سر الفاتيكان الكاردينال بارولين، بدأ الغوص في تحليل أبعاد الزيارتين وما تخللهما من مواقف ورسائل تستحق القراءة. ذلك ان دخولهما على خط الوضع اللبناني بقوة في هذا التوقيت بالذات يستحق العناية والتنبه. الفاتيكان من خلال تأكيد الطابع السياسي للزيارة والحرص على ابراز دور المسيحيين في لبنان والشرق، والجامعة العربية التي ابتعدت لفترة عن لبنان ثم عادت مع محطة زكي فيه ولقائه مع حزب الله.

عن الزيارة الفاتيكانية، تؤكد مصادر اطلعت على تفاصيلها انها اكدت وجوب تجذر المسيحيين في لبنان وترسيخ العيش والوحدة الوطنية.فالمنطقة مقبلة على تحولات كبرى وتغيير جذري وتطورات غير واضحة المعالم بعد ما يجعلها مفتوحة على احتمالات جديدة جوهرية لا يجوز ان يغيب العنصرالمسيحي عنها، مع غياب الرئيس المسيحي الوحيد في الشرق اثناء اعادة ترتيب اوضاعها وولادة شرق اوسط جديد، فلهذا الغياب خطورة فادحة وتداعيات قد لا يمكن تجاوزها .

وتضيف ان عدم انتخاب رئيس يستهدف العنصرالمسيحي في المنطقة ودوره الريادي، وقد حرص بارولين على التأكيد ان زيارته الى لبنان لها طابع سياسي، اي انه في مهمة وليس في زيارة "رعوية لمنظمة فرسان مالطا"، والا لكان اوفد احد معاونيه لتمثيله في هذه المناسبة. هو اراد اغتنام المناسبة الرعوية ليوجه رسالة من الكرسي الرسولي الى القوى السياسية في الداخل اللبناني «لانقاذ لبنان النموذج وصيغة العيش المشترك، لبنان الرسالة كما اطلق عليه البابا القديس يوحنا بولس الثاني».

وتؤكد المصادر ان بارولين اجرى اتصالات علنية وبعضها بعيدة عن الاضواء لاخراج الاستحقاق من عنق الزجاجة وانتخاب رئيس تجنبا لانهيار لبنان. و كانت رسالته واضحة من «ان المسيحيين ليسوا وحدهم المسؤولين عن عرقلة الانتخاب بل هنالك مسؤولية على الاخرين . فللمسيحيين دور ليس وفق عددهم بل وفق اهمية حضورهم في الشرق».■

الخناق يشتد على المواطن المغربي ومستوى معيشته يتراجع

الغلاء بالمغرب يوسع من الفوارق ويهدد السلم الاجتماعي

سعيدة شريف*- المغرب

كشف عيد الأضحى بالملموس المشاكل الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية التي تعانيها الأسر المغربية بسبب الغلاء الفاحش، الذي مس أضحية العيد وغيرها من مستلزمات العيش الضرورية للمواطن المغربي، حيث بلغت أثمنة الخرفان هذه السنة بالمغرب أرقاما قياسية لا تتماشى مع مستوى دخل المواطن المغربي، حيث لم تتمكن أعداد كبيرة من المواطنين من اقتناء أضحية العيد للقيام بهذه الشعيرة الدينية، ولا الحفاظ على مستوى معيشتها الذي صار يتراجع سنة بعد أخرى، ما عمق الفجوة بين الطبقات الاجتماعية بالمغرب، وكاد يقضي نهائيا على الطبقة المتوسطة، التي حافظت لسنوات على التوازن الاجتماعي بالمغرب، رغم أن العاهل المغربي الملك محمد السادس حذر من هذا المنزلق الخطير في الكثير من خطبه.

وفي آخر تقرير رسمي حول تطور مستوى معيشة المغاربة على ضوء نتائج البحث الوطني حول مستوى معيشة الأسر سنة 2022، كشفت المندوبية السامية للتخطيط بعد العيد مباشرة عن تزايد الفوارق الاجتماعية والمجالية لمستوى معيشة الأسر والتوجه نحو الفقر، وقالت إن عدد الأفراد في وضعية الهشاشة الاقتصادية ارتفع من 2.6 مليون عام 2019 إلى 4.75 ملايين عام 2022، كما ارتفع عدد الفقراء على المستوى الوطني من 623 ألفا عام 2019 إلى 1.42 مليون عام 2022. وفي المقابل ازداد الأغنياء ثراء، حيث كشف التقرير أن أغنى 10 في المائة من الأسر المغربية تستهلك 16 مرة أكثر من أفقر 10 في المائة من الأسر.

تدهور مستوى معيشة الأسر

وبالنظر إلى واقع الحال في السنتين الأخيرتين 2023 و2024، وتداعيات التضخم وسنوات الجفاف المتكررة، واستمرار مسلسل ارتفاع الأسعار وضرب القدرة الشرائية للمواطنين المغاربة، وسوء التدبير السياسي والاقتصادي للأوضاع بالبلد حسب العديد من المراقبين، فإن الأرقام ستكون بكل تأكيد كارثية، خاصة أن نفس المؤسسة الرسمية السابقة سبق وأعلنت قبل شهرين عن تدهور مستوى معيشة الأسر المغربية خلال 12 شهرا الماضية بنسبة بلغت 82.5في المائة، وهو ما يؤكد على اشتداد الخناق على الأسر المغربية التي أصبحت قاب قوس أو أدنى من عتبة الفقر.

ومن جهته كشف استطلاع الرأي الخاص بالمغرب ضمن «الباروميتر العربي» الذي جرى إطلاق دورته الثامنة في بداية شهر يونيو الماضي بالعاصمة الرباط بشراكة مع المركز المغربي لتحليل السياسات، عن استمرار اتساع الفجرة بين الأغنياء والفقراء، وتزايد انعدام الأمن الغذائي في المغرب بشكل كبير، حيث أظهر الاستطلاع أن 63 في المائة من المغاربة يواجهون صعوبات في توفير الطعام إلى حدود الأشهر الأولى من العام الحالي، مقارنة بـ 36 في المائة في عام 2022. كما أشار الاستطلاع إلى أن هذه المشكلة لم تعد مقتصرة على الفئات الفقيرة فحسب، بل امتدت إلى شرائح أوسع من المجتمع، التي عبرت عينات منها عن قلقها من توفر الطعام وارتفاع أسعاره بنسب بلغت 57 في المائة و59 في المائة على التوالي. ما يعمق من هذه الأزمة المرتبطة بشكل مباشر بزيادة معدلات الفقر، حيث يعاني 66 في المائة من غير القادرين على تغطية نفقاتهم من انعدام الأمن الغذائي، و69 في المائة من ارتفاع الأسعار. وفي المقابل، تنخفض هذه النسب بين الفئات الأكثر ثراءً لتصل إلى 46 في المائة.

وحول أسباب تفاقم انعدام الأمن الغذائي بالمغرب وارتفاع معدلات الفقر، تبرز نتائج "الباروميتر العربي" تباين وجهات نظر المغاربة، حيث يرى نصف المستطلعين أن الأسباب داخلية، تشمل سوء الإدارة الحكومية والتضخم وعدم المساواة في الثروة، بينما يرى النصف الآخر أن الأسباب خارجية تعود لتغير المناخ والحرب في أوكرانيا.

فإذا كانت أرقام ونتائج التقارير الرسمية والاستطلاعات العربية كـ «الباروميتر العربي»، تعطي صورة قاتمة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب، فإنها في الوقت نفسه تشير إلى أكبر التحديات التي تواجه المغرب في السنوات الأخيرة، والمتمثلة في ثلاثة عناصر: الاقتصاد، الفساد، والخدمات، وبالتعمق فيها يتبين مدى مستوى تدني الخدمات في المغرب، واستشراء الفساد في جميع القطاعات، وتراجع المنظومة التعليمية والصحية، في مقابل تحسن طفيف في بعض القطاعات التقنية والتكنولوجية فقط، وهو ما لا ينعكس على حياة المواطنين وعلى أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية الخانقة والمقلقة في الآن نفسه.

عوامل التضخم ومواسم الجفاف

وحول هذه الأوضاع المزرية يقول محمد جدري، المحلل الاقتصادي ومدير "مرصد العمل الحكومي"، إن الاقتصاد المغربي عاش موجة تضخمية غير مسبوقة لم يعرفها الاقتصاد المغربي منذ أكثر من عشرين سنة، حيث أن نسب التضخم بلغت 6.6 في المائة عام 2022، و6.1 في المائة عام 2023، بل أكثر من ذلك فنسبة التضخم على مستوى المواد الغذائية فاقت 20 في المائة، وأسباب هذا الأمر متعددة، فالحرب الروسية الأوكرانية أدت إلى ارتفاع أسعار المحروقات على المستوى العالمي، ما أدى إلى ارتفاع في تكلفة الإنتاج، إضافة إلى مواسم الجفاف المتكررة التي لم يعرفها المغرب منذ 25 سنة، هذا ناهيك عن أن المنظومة التسويقية بالمغرب تعرف مجموعة من الوسطاء والمضاربين والمحتكرين الذين يغتنون من أزمات المغاربة.

ويوضح جدري في تصريح لـ«الحصاد»، أن هذه الموجة التضخمية حدت من القدرة الشرائية للمواطنين، خصوصا ذوي الدخل المحدود والطبقات المتوسطة، وأن الحكومة حاولت القيام بمجموعة من الإجراءات كدعم النقالين ورفع استيفاء مجموعة من الرسوم الجمركية عن المواد الغذائية، وإعفاء الكثير من المواد الغذائية من الضريبة على القيمة المضافة، والشروع في الدعم المباشر للفئات العريضة من ذوي الدخل المحدود، من أجل إنقاذ الوضع، ولكن "هذه الإجراءات لم تكن فعالة بما يكفي، حيث قلصت من وطأة ضعف وتدهور القدرة الشرائية للمواطنين فقط، خصوصا ذوي الدخل المحدود، لكنها عمقت من الفوارق الاجتماعية، فأصبح المغرب ينقسم إلى ثلاث فئات: فئة الأغنياء التي ليس لديها مشكل في اقتناء مجموعة من السلع والخدمات، وفئة ذوي الدخل المحدود التي استفادت من دعم لا يقل عن 500 درهم ويمكن أن يصل إلى 1908 درهم في أفق 2026، وهو ما سيساعدها على اقتناء السلع الضرورية ومجموعة من الخدمات، لكن تبقى الطبقة المتوسطة هي الحلقة الأضعف، لأنها هي التي تؤدي الضرائب وتشتري مجموعة من الخدمات بسعرها الحقيقي، وهي التي لا تستفيد من أي دعم مهما كان، وهذا ما يوضح أن هذه الطبقة لا تدخل في أولويات الحكومة اليوم، وهو ما أدى إلى تدهور قدرتها الشرائية. وحسب إحصائيات للمندوبية السامية للتخطيط فإن 9 أسر من 10 لا تستطيع أن تكمل نفقات شهرها، وفقط 8 في المائة من الأسر هي التي قالت إنها يمكن أن تدخر خلال 12 شهرا القادمة".

ويخلص المحلل الاقتصادي إلى أن المغرب ما زال بعيدا عن مطمح تحقيق الدولة الاجتماعية التي وضعت لها بعض الأسس، كالتأمين الإجباري عن المرض، والتعويضات العائلية، ومستقبلا سيكون هناك معاش للشيخوخة ومنحة لفقدان الشغل، ولكن المنظومة التسويقية للمغرب وكذا إشكالية الماء والطاقة، تجعل المغرب لا يتحكم في أمنه الغذائي والطاقي، وهو ما يبرز مع كل أزمة وطنية أو دولية، حيث تتدهور القدرة الشرائية لذوي الدخل المحدود والطبقة المتوسطة، ولهذا فالأمل معقود على أن "يكون ورش الحماية الاجتماعية وأسس الدولة الاجتماعية في حدود 2026 أو 2027 أمرا حقيقيا على أرض الواقع".

الاحتكار والمضاربة

أما الدكتور طارق البختي رئيس «المنتدى المغربي للمستهلك»، فيرى أن المغرب عرف في السنوات الأخيرة ارتفاعا مهولا في مستوى الأسعار في جميع القطاعات، سواء تعلق الأمر بالخدمات أو المحروقات أو تذاكر السفر أو السلع والبضائع وكذا المنتوجات بما فيها الخضر والفواكه والملابس وقطع الغيار، وهو ما كان له الأثر الكبير على القدرة الشرائية للمستهلك الذي لم يعد قادرا على تلبية حاجياته، ما دفع بالعديد من المستهلكين إلى اللجوء إلى القروض الاستهلاكية حتى يتسنى لهم تغطية هذه الحاجيات.

ويعزو البختي، الأستاذ الجامعي بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة في تصريح لـ «الحصاد»، سبب ارتفاع الأسعار إلى الجفاف الذي عرفه المغرب خلال هذه السنة، دون إغفال الحرب الأوكرانية - الروسية والتي أثرت بشكل كبير على السوق العالمية، خاصة فيما يتعلق بالمواد الأولية المستوردة بما فيها المحروقات، مشيرا إلى أن هناك أسبابا أخرى ساهمت في ارتفاع الأسعار، ومن بينها عدم تحديد وتوحيد أسعار العديد من الخدمات، وأيضا العديد من السلع والمنتوجات «

بعلة حرية المنافسة والأسعار، وذلك وفقا للقانون المنظم لحرية المنافسة والأسعار، والذي يتيح إمكانية بيع المنتوجات وتقديم الخدمات بكيفية حرة على مستوى تحديد الأسعار من طرف صاحب الخدمة أو المنتوج، وهو ما يطرح سؤال الجودة في ظل حرية تحديد الأسعار. هذا ناهيك عن مسألة المضاربة في البضائع والأسعار وأيضا الاحتكار، حيث يعمد بعض التجار إلى احتكار بضائع أو منتوجات أو خدمات معينة دون الغير، وهو ما يتيح لهم وضع الأسعار التي تناسبهم، على اعتبار انعدام المنافسة في هذا الصدد.

ويؤكد البختي أن ارتفاع الأسعار المتزايد كان له «تأثير بالغ على القدرة الشرائية للمستهلك، لاسيما في ظل استقرار الأجور وضعفها وعدم تحسينها بشكل يتماشى مع ارتفاع الأسعار على المستوى العالمي بشكل عام، وذلك على الرغم من المبادرات الحكومية الرامية إلى تحسين الدخل الفردي والزيادة في الأجور، والتي تظل ضئيلة وغير كافية مقارنة مع ارتفاع خدمات التطبيب والعلاج لدى أطباء القطاع الخاص، وأيضا ارتفاع تكاليف التمدرس في القطاع الخاص، بالإضافة إلى الزيادة التي شهدتها غالبية المواد الاستهلاكية والغذائية، وهو ما حد بشكل كبير من القدرة الشرائية للمواطنين، وهو الأمر الذي لمسناه وبشكل جلي خلال عيد الأضحى، حيث أن هناك العديد من الأسر لم تستطع اقتناء أضحية العيد نتيجة لارتفاع أسعار الأضاحي بشكل صاروخي هذه السنة».

وعن حلول الدعم الاجتماعي التي تعمل الحكومة المغربية على إرسائها وفق ما يتاح لها من إمكانيات ووسائل ومجهودات، فهي تظل برأيه حلولا إيجابية وفعالة، وهي نابعة من مبادئ الدولة الاجتماعية القائمة على أسس الحماية الاجتماعية للمواطنين، والتي تعتبر ورشا ملكيا بامتياز، يهدف من خلاله العاهل المغربي الملك محمد السادس، إلى النهوض بالأوضاع الاجتماعية للمواطنين وإرساء أسس التضامن والتآزر وتوفير التغطية الصحية والعيش الكريم للمواطن المغربي، ومن تم فإن حلول الدعم الاجتماعي المقدمة في هذا الصدد تظل مبادرة محمودة وجيدة، لكنها غير كافية في ظل تنامي ظاهرة المضاربة والاحتكار، وكذا ارتفاع أسعار بعض البضائع المستوردة نتيجة ارتفاع تكاليف الاستيراد من بلد المنشأ وإلى غاية وصولها إلى المستهلك المغربي.

إن الوضع الاجتماعي والاقتصادي بالمغرب يطرح أكثر من سؤال، فعلى الرغم من إقدام «بنك المغرب» البنك المركزي بالبلد على خفض سعر الفائدة الرئيسي في 25 يونيو الماضي من 3 في المائة إلى 2.57 في المائة، أي بمقدار 25 نقطة أساس، فإن هذا القرار لن يكون له تأثير فعلي على الاقتصاد، حسب رأي بعض خبراء الاقتصاد بالمغرب، ولا تأثير فوري على أسعار الفائدة البنكية، حيث سيتطلب ما بين 6 و8 أشهر قبل أن ينعكس على سوق تلك الأسعار، سواء على المدى القصير أو الطويل، فيما يرى البعض الآخر أنه سيشجع على الاستثمار وتمويل الاستهلاك وحيازة العقارات والتجهيزات المنزلية والقروض الاستهلاكية، وسيمكن من تعزيز الانتعاش وتحفيز النمو.

فهل ستتمكن هذه الإجراءات الاحترازية والمبادرات الحكومية في ظل المتغيرات والتقلبات الداخلية والخارجية من ضمان العيش الكريم للمواطن المغربي، وحماية قدرته الشرائية مع وضع حد لموجة الغلاء، والتقليص من الهوة بين الفقراء والأغنياء بالمغرب، خاصة أن المغرب بات يتصدر قائمة أغلى البلدان على مستوى شمال إفريقيا، حسب تصنيف «أغلى الدول للعيش لسنة 2024» الصادر عن مجلة «سيو ورلد» المتخصصة؟ ■

محمد جدري

د. طارق البختي

*إعلامية وكاتبة من المغرب

وجهة نظر

من قطع رأس مونتسكيو؟

البروفسور
نسيم الخوري*

بيني وبين لغة العرب قرابة رحميّة تعيش ولاداتها عبر ابتسامات "الحصاد" الشهرية مزدانةً بقومية لطيفة ريثما تأهّب اليراع نحو لندن مدينة الضباب. مُميتاً دخان الحرائق وضبابها يغمر فلسطين قبالة بلاد العرب أوطاني وعواصم العالم الفجّ، لكنّ المحاصيل تُشقع فوق البيادر لتدور النوارج هذا الصيف وكلّ صيف خلف الثيران بانتظار الغلال. إنّها العربية، اللغة العظيمة استُهلكت نصف العمر لغوياً وإعلامياً حماية للأجداد والحصون من بغداد ترمق المغرب مروراً بدمشق وبيروت وعواصم العرب. لن يسقط يراع من بين الأصابع ولو لتصويب فاصلة أو خطأ بسيط مشاطراً الدكتور الرئيس سليم الحص الذي عايشته في "منبر الوحدة الوطنية" حاملاً قلم الرصاص جاهزاً كلّ لحظة لتصويب أي خطأ لغوي وسياسي أو إجتماعي حفظه الله وحفظ مجلّة "الحصاد" والحصّادين.

لربّما يحصد كلّ قارئ مليون عربي إذ يتذكّر أو يدرك من أنّ 12 مليون و33 ألف هو عدد كلمات اللغة العربيّة أو لغة الضاد وهي قد تنام وتُزهر هنا هناك في الضباب.

بالمقابل، هذا هو عدد المفردات في أبرز اللغات العالمية:

- اللغة الإنكليزية 600 ألف كلمة
- اللغة الإلمانية 160 ألف كلمة
- اللغة الفرنسية 150 ألف كلمة
- اللغة الروسية 130 ألف كلمة

عدد كلمات العربيّة، إذن، سواء المستخدمة أو المهملة منها تجلس أمامكم تحييكم عرباً ومن دون أيّ تكرار إذ أنّها تبلغ 20 ضعفًا عدد كلمات اللغة الإنكليزية التي تمطّ قوتها وأعناقها لتكتسح ألسنة الأرض وتنافسها اللغة الصينيّة اليوم. نلت عاشقاً للعربيّة بعد دزينتين من السنين في التعليم الجامعي والأبحاث في ميادين اللغة والإعلام دكتوراه دولة بعنوان" الإعلام وانهيار السلطات" جاءت في مجلّد تجاوز ال800 صفحة إستهلك من صباحات العمر 50000 ساعة عمل تقريباً لطالما كنت أُباشرها بعد منتصف الليل حتّى إنبثاق الفجر. هو الطقس المُرهق في العمل إذ يستغرق الناس في الأسرّة والأحلام والأخبار.

صدّقوني، لست مغرماً بالأرقام والنسب في مهمة إصلاح الجامعي بقدر قناعتي بإستبداديتها Le despotisme de chiffres أحياناً إذ نشرت حولها الـ «موند ديبلوماتيك» عدداً خاصاً فائض الأهميّة في علوم العلاقات العامّة والإعلام، تبدو فيه اللغة ميدان قداسة وترهّب يدمغ الأطفال والتلامذة وطلبة الجامعات والأجيال والصحفيين والكتّاب والسياسيين باعتبار الإنسان لساناً أوّلاً واللسان يمكننا إدراجه في رحاب النصوص بينابيعها الخالدة والتراث. هذا هو مسرى الحضارة، غير أنّ الأسباب التي تدفعني إلى القول بأنّ اللغات تلحق بالدول تقوى بها وتزدهر وتنتشر أو تضعف بضعفها وتضمر وتنقرض لا سمح الله بما يؤشّر إلى تصديق فكرة إنتحار الحضارات محدّقاً بحزنٍ عميق نحو الحضارة العربيّة والإسلامية المعاصرة التي أراها تنهار في المجتمع الرابع أعني مجتمع العولمة الكوني الذي ما عادت تغرب عنه الشمس.

لماذا انهيار السلطات؟

للبحث عمّن يحميها في هذا الخراب العام سيّدة ابتسام أوجي المسكونة بشرف العربية. من يحمي العربية سوى رؤوساء الجمهوريات والوزراء والنوّاب وكبار المسؤولين ورجال الدين على تنوّع مذاهبهم إلى القضاة والمحامين وأساتذة التعليم من الصفوف الإبتدائية حتى الجامعات والإشراف على الأطروحات. نعم كلّ من يمثل السلطات المتعارف عليها خطابةً وكتابةً وتماهياً وصولاً إلى إعلان الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو مواصفات الجمهوريات الديمقراطية باعتبارها تنحصر بسلطات أربع: البرلمانية تمثّل الشعوب عبر مجالس النواب، التنفيذية يشغلها أعضاء المجالس الوزارية، القضائية عبر القضاة والمحامين في المحاكم، والسلطات الإعلامية الرابعة والأخيرة.

أسأل هنا: من يحمي ما يُقارب 13 مليون كلمة وأكثر اليوم تتكدّس عبر تدفّق اللهجات والألسنة والنصوص والأفكار والأشعار والخطب والعاميات خلال نشرات الأخبار ووسائل الإعلام ومواقع التواصل الإجتماعي؟ ألا تنهار معظم السلطات في حضورها وألسنتها وإبداعاتها حتى عبر ألسنة خيرة العلماء والعديد من أساتذة الجامعات ونصوصهم؟

لا أبالغ إن كتبت أنّ الإعلاميات والإعلاميين عبر الشاشات اللبنانية والعربية والدولية في عصر العولمة قد قطعوا رأس مونتسكيو نهائيّاً وباتت وسائل التواصل الإجتماعي من الفيسبوك والآكس وإنستغرام وتيك توك ويوتوب ولنكدإن ومدونات وورد برس وblogger وغيرها تبدو وكأنّها تنافس بل تسابق السلطات الأخرى التقليدية.

كان لإندلاع الحروب في لبنان منذ العام 1975 وما رافقها من انهيارات وصراعات مختلفة، نتائج أصابت العربيّة في لبنان ما أصاب اللبنانيّين في اجتماعهم من عوامل التمزّق والانهيار والتراجع، وأسقطت اللغة رسمياً، وتساوت الطوائف المتعدّدة في تحقيق تغريب اللغة إلى أبعد الحدود، وعرف الإعلام الإذاعي والتلفزيوني "نهضةً" كبرى أدخلته، لا في اعتماد الكتابة الصحافية وحسب، بل في اعتماد المحادثات والصيغ المحكيّة المباشرة في مختلف المناسبات الرسميّة بدلاً من لغة الأدب والشعر والمعجمات أو الصحافة. فصارت المحكيّة مكتوبة، وتراجعت الصيغ الفصحى أو ندرت، فبقيت يتيمةً في هذا اليمّ اللغوي العامي الذي غمر الساحة اللبنانيّة وطغى عليها عبر وسائل الإعلام. لقد تخلّت الدولة اللبنانية كمثال في 23 آب 1985 عن حقوقها في البث الفضائي إلى الإعلام الخاص المتمثل بشاشة المؤسسة اللبنانية للإرسال الـ ..L.B.C

صمدت اللغة العربية أخيراً خلال الألفيّة الأولى ، واحتلّت مكانة دوليّة مرموقة، كما صمدت في الألفية الثانية في وجه التتريك والذوبان إبان الحكم العثماني ، وكذلك أمام الاستعمار الفرنسي والانكليزي الذي دأب على سلب العربيّة صلاحيّاتها وسلطاتها وحضورها أداةً للتداول الرسمي والاجتماعي. هكذا مخاطر أن تلحق العربيّة باللاتينية وبالإغريقية أعني لغة سقراط وإفلاطون وأرسطو التي ألغيت بمرسوم جمهوري. وأذكّربأنّ الشاعر الكبير سعيد العقل قد تمّ تكفيره إذ قال بـ"ليتنة" العربية أي كتابتها من اليسار إلى اليمين.

ماذا يحصل اليوم؟

الأولاد والأحفاد يكتبون العربية من اليسار إلى اليمين في لغةٍ صار لها قواميسها وآخرها "قاموس الدردشيّة" للدكتور نديم المنصوري، منذ 14 عاماً، ويجتاحنا رعب تحول العربية من لغة تفكير إلى لغة تعبير. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

الأكبر منذ الحرب العالمية الثانية

أسوأ ميراث اقتصادي ومالي تواجهه الحكومة البريطانية

كتب المحرر الإقتصادي:

أما وقد أنهت الانتخابات البريطانية 14 عاماً لحزب المحافظين في السلطة لصالح حزب العمال بزعامة كير ستارمر، فإن أسوأ ميراث اقتصادي ومالي منذ الحرب العالمية الثانية تواجهه الحكومة الجديدة يتطلب منها أن تأخذ خيارات صعبة.

لقد صرخ الناخبون البريطانيون من أجل التغيير بسبب سياسات التقشف وأزمة تكاليف معيشية، ونظام صحة عامة المتهالك، وضعف في النمو، وبلوغ العبء الضريبي أعلى مستوياته بعد الحرب العالمية الثانية، واقتراب نسبة الدين من الناتج المحلي الإجمالي من 100 في المئة للمرة الأولى منذ الستينات.

تراكمت مشكلات بريطانيا منذ الاستفتاء على خروجها من الاتحاد الأوروبي عام 2016، ثم وباء كورونا. حتى أن المحافظين فقدوا لقبهم التقليدي كحزب المسؤولية المالية بعد أن تسببت ليز تروس في انهيار الجنيه الاسترليني خلال فترة ولايتها القصيرة كرئيسة للوزراء في عام 2022.

ورغم معاناة الاقتصاد، كانت هناك علامات إيجابية في الآونة الأخيرة. إذ خرج من الركود هذا العام، مع نمو الناتج المحلي الإجمالي بشكل أفضل من المتوقع بنسبة 0.7 في المئة في الربع الأول بعدما كان سجل تراجعاً لربعين متتاليين في النصف الثاني من العام 2023.

إلا أن هذه البداية القوية لعام 2024 لم تلغ التوقعات الصعبة. وهو ما ألمح إليه بنك إنجلترا الذي اعتبر أن النمو القوي في النصف الأول من العام كان بمثابة انتعاش من الضعف الذي شهده العام الماضي وليس فترة مستدامة من التوسع.

وسيحتاج النمو إلى الانتعاش بشكل كبير، لمنع تراجع تصنيف المملكة المتحدة. ولن يكون تحقيق هذه الغاية بالمهمة السهلة، نظراً للرياح المعاكسة المتمثلة في الهجرة، فضلاً عن القضايا المتعلقة بالمشاركة في سوق العمل ونمو الإنتاجية.

التضخم

لقد تمكن المحافظون من السيطرة على التضخم، الذي تباطأ إلى 2 في المائة في مايو (أيار) من ذروة بلغت 11.1 في المائة في أكتوبر (تشرين الأول) 2022. وهو المعدل المستهدف لبنك إنجلترا الذي توقع أن يرتفع التضخم بشكل طفيف مرة أخرى في الأشهر المقبلة لكنه سيستقر بالقرب من معدله المستهدف.

ورغم تراجع التضخم، فإن القدرة على تحمل تكاليف السلع والخدمات للأسر لا تزال تؤثر على الملايين في جميع أنحاء المملكة المتحدة مع ركود الرواتب. وهو ما يشكل تحدياً كبيراً أمام الحكومة في مساعيها لتحسين معيشة البريطانيين.

التحديات المالية

هناك ثلاث قضايا كبرى يتعين على الحكومة أن تتعامل معها مالياً، وكلها من المرجح أن تتطلب ضرائب أعلى مما كان أي حزب على استعداد للاعتراف به خلال الحملة الانتخابية:

-التحدي الأول هو أن خطط الإنفاق التي سترثها الحكومة الجديدة تبدو غير قابلة للتنفيذ. وتقدر "بلومبرغ" أن هناك حاجة إلى زيادة قدرها 20 مليار جنيه إسترليني تقريباً إذا أرادت الإدارات خارج الصحة والتعليم والدفاع والسياسة الخارجية الاستمرار في تقديم مستويات الخدمة الحالية.

-التحدي الثاني متعلق بالنمو الذي تمت الإشارة إليه.

-التحدي الثالث والذي يتلخص بوجوب خلق مساحة أكبر للإنفاق الاستثماري. ومن المقرر أن ينخفض ___من 2.4 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي في الفترة 2024-2025 إلى 1.7 في المئة في الفترة 2029-2028وتحتاج هذه الخطط إلى إعادة صياغتها إذا كانت الحكومة الجديدة جادة في معالجة مشكلة الإنتاجية في المملكة المتحدة.

الديون

تواجه الحكومة الجديدة مهمة ضخمة تتمثل في سداد ديون ضخمة من دون زيادة الضرائب، أو اقتراض المزيد، أو المزيد من الضغط على الخدمات العامة. واحدة من أفضل الطرق لتحقيق ذلك هي تحسين الإنتاجية.

وكانت ديون الدولة ارتفعت إلى أعلى مستوى لها منذ عام 1961. وبلغ صافي ديون القطاع العام كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي في بريطانيا 99.8 في المئة خلال الشهر.

كما أدى ارتفاع تكاليف الاقتراض إلى الضغط على خزائن الخزانة، والتي تأثرت أيضاً بالزيادات في مدفوعات الاستحقاقات وأجور القطاع العام.

ويحذر الاقتصاديون من أن الحفاظ على استقرار ميزانيات الإدارات سيكلف في نهاية المطاف المزيد على مدى السنوات المقبلة بسبب ارتفاع تكاليف الاقتراض وتضخم العمالة، مما يشكل تحدياً للحكومة المقبلة عند موازنة الدفاتر.

وكان معهد الدراسات المالية، وهو مركز بحثي رائد في بريطانيا، أطلق تحذيراً صارخاً بشأن التحديات المالية التي تنتظر الحكومة المقبلة. وحذر من توقع المزيد من الزيادات الضريبية أو التخفيضات في الخدمات العامة.

ورغم التزام كل من حزب العمال والمحافظين خلال حملاتهما الانتخابية بخفض الديون كحصة من الناتج المحلي، إلا أن معهد الدراسات قال إن مدفوعات الفائدة المرتفعة على الديون الحالية والنمو الاقتصادي المنخفض المتوقع يمكن أن يجعل خفض الديون المستقبلية أكثر صعوبة، مقارنة بأي برلمان منذ الخمسينات على الأقل، دون مزيد من التدابير.

وعلى هذا النحو، يقول المعهد إنه إذا لم يحدث تحسن كبير في النمو، فإن الحكومة المقبلة قد تواجه ثلاثة خيارات واسعة: : إما قبول التخفيضات "المؤلمة" في الإنفاق على الخدمات العامة المخطط لها حالياً، أو زيادة العبء الضريبي الذي من المقرر أن يصل بالفعل إلى أعلى مستوى في 80 عاماً، أو اقتراض المزيد والفشل في تثبيت استقرار الدين كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي.

وقال مدير المعهد بول جونسون، إن التحدي الذي ينتظر الفائز في الانتخابات أكبر مما واجهته أي حكومة منذ الخمسينات من القرن الماضي على الأقل، والتمني بأن يتحسن النمو بدرجة تنقذ الموقف سيعتمد على أن نكون "محظوظين للغاية".

وكان صندوق النقد الدولي توقع أن يصل صافي ديون القطاع العام في بريطانيا، باستثناء برنامج شراء السندات من بنك إنجلترا، إلى 97 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي في السنة المالية 2028 ـ 2029.

وفي مارس (آذار)، قال مكتب مراقبة الموازنة البريطاني إن الحكومة تسير على الطريق الصحيحة لتحقيق هدفها المتمثل في انخفاض الديون بنسبة من الناتج المحلي الإجمالي في العام الأخير من أفق توقعاتها البالغ خمس سنوات، وإن كان ذلك بشكل ضيق.

ويتوقع صندوق النقد الدولي من جهته إنفاقاً أكبر مما توقعته بريطانيا، وهو يرى أن بريطانيا بحاجة إلى شد حزامها – من خلال زيادة الضرائب أو خفض الإنفاق – بمتوسط ___يبلغ نحو نقطة مئوية واحدة من الناتج المحلي الإجمالي، أو ما يقرب من 30 مليار جنيه إسترليني (38 مليار دولار) سنوياً لتحقيق الاستقرار في الديون بحلول نهاية العقد.

كما رأى أنه على بنك إنجلترا أن يخفض أسعار الفائدة مرتين أو ربما ثلاث مرات هذا العام، بمقدار ربع نقطة في كل مناسبة، على الرغم من أنه يتوقع عودة التضخم إلى هدف بنك إنجلترا فقط على أساس دائم في أوائل عام 2025.وقال الصندوق إن بريطانيا مهيأة لـ"هبوط ناعم" بعد ركود قصير وضحل في النصف الثاني من عام 2023.

أسعار الفائدة

يبلغ حالياً سعر الفائدة الأساسي (وهو الذي يحدد مقدار الرسوم التي يفرضها بنك إنجلترا على المصارف التجارية لاقتراض الأموال وبالتالي يؤثر على ما تفرضه هذه المصارف من رسوم على العملاء) أعلى مستوى له منذ 16 عاما عند 5.25 في المئة.

وكانت أسعار الفائدة عند مستويات منخفضة تاريخياً في بريطانيا في أعقاب الأزمة المالية عام 2008، ولكن المصرف المركزي رفعها بشكل حاد على مدى العامين الماضيين. مع العلم ان هذا الأمر جاء بفعل تفشي التضخم من أجل إعاقة الطلب على الإنفاق من خلال جعل اقتراض الأموال أكثر تكلفة.

ومع ذلك، فهذا يعني أن ملايين الأسر في بريطانيا قد شهدت، أو ستشهد، زيادات في فواتير الرهن العقاري، وبالتالي زيادات في تكاليف الإيجار.

وكان بنك إنجلترا أبقى أسعار الفائدة للاجتماع السابع على التوالي لكنه أكد أنها متوازنة بشكل جيد، حيث يتوقع العديد من الاقتصاديين الآن أن يتم خفضها في التصويت المقبل في أغسطس (آب) بعد تباطؤ التضخم.

سوق العمل

ارتفع معدل البطالة في بريطانيا بشكل غير متوقع إلى أعلى معدل له منذ أكثر من عامين، إلى 4.4 في المائة في الأشهر الثلاثة حتى أبريل (نيسان). كما انخفضت الوظائف الشاغرة بشكل حاد مرة أخرى، حيث انخفضت بمقدار 12 ألفاً إلى 904 ألاف في الأشهر الثلاثة حتى مايو (أيار)، مما زاد المخاوف بشأن الضعف في سوق العمل. لكن الأرقام أظهرت أن نمو الأرباح المنتظم ظل دون تغيير عند 6 في المئة في الأشهر الثلاثة حتى أبريل (نيسان) واستمر في تجاوز ارتفاعات الأسعار.

بناء على كل ما تقدم، فإن الحكومة الجديدة ستواجه ضغوطًا هائلة للتغلب على هذه التحديات الاقتصادية. ومن خلال تعزيز الإنتاجية وإعادة المزيد من الناس إلى قوة العمل، قد يكون هناك مجال لإدارة أسعار الفائدة المرتفعة وخفض الدين الوطني. وهذا من شأنه أن يحرر عائدات الضرائب لدعم الخدمات العامة وغير القادرين على العمل. ورغم أن التحدي هائل، إلا أن المكاسب المحتملة ممكنة... وكبيرة. ■

زعيم حزب العمال كير ستارمر يتقبل التهنئة من الملك تشارلز بعد فوز حزبه

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

صناعة المستقبل العربي: التحديات والفرص

غني عن القول إن عالم اليوم يعيش عملية عير مسبوقة هي عملية تغيير العالم بتحدياتها وكذلك بفرصها وتأثيرهما في تشكيل مستقبلاته الممكنة و/أو المحتملة. والشيء ذاته ينسحب على التطلع العربي إلى التجديد الحضاري وصناعة المستقبل المرغوب فيه، فهذا التطلع يجابه بتحديات وفرص نابعة من حقائق البيئة العربية الداخلية بشقيها القطري والقومي، وكذلك من حقائق البيئة العربية الخارجية بشقيها الإقليمي والعالمي.

ولامتداد معطيات هاتين البيئتين على مواضيع عديدة، سنكتفي في هذا المقال، بالتركيز العام على تلك التحديات والفرص، التي تقترن بها البيئة العربية الداخلية، انطلاقا من رؤية علمية تؤكد ان نوعية الفاعلية الداخلية لاي دولة هي التي تحدد فاعليتها الخارجية سلبا أو ايجابا. والشيء ذاته ينسحب علينا، نحن العرب. فمجمل مخرجات التحديات والفرص التي يقترن بها الواقع العربي هي التي تحدد نوعية الفاعلية العربية الداخلية، التي بدورها تحدد نوعية الفاعلية العربية الخارجية.

1. التحديات الداخلية وصناعة المستقبل العربي

تفيد التجربة أن الأفعال التاريخية الكبرى، على تنوعها، لا تتبلور وتساعد على صناعة المستقبل، إلا بعد أن تكون ثمة شروط ومستلزمات أساسية داعمة لها، وسابقة عليها من حيث الزمان، قد تحققت أولا. ومن بينها توافر الوعي بجدوى تغيير الواقع نحو الأفضل خدمة لأهداف حيوية ينعقد الأجماع، أو شبه الأجماع، على ضرورة إنجازها في الحاضر تمهيدا لصناعة المستقبل المنشود، هذا فضلا عن توظيف الأدوات المؤثرة المتاحة سبيلا لنقل موضوع هذا الأجماع من حالته النظرية الى حالته الواقعية.

وتفيد التجربة الأوربية بمثال مهم على كيفية الارتقاء الناجح بالتعاون بين الدول إلى مستوى متقدم منه. فعلى الرغم من أن أوربا تُعد في حقيقتها الموضوعية تجمعا متناقضا لتنوع قومي وثقافي واجتماعي وتباين اقتصادي وسياسي وتطور حضاري ...إلخ. بيد أن مخرجات هذه التناقضات والتباينات وغيرها، لم تحل دون الارتقاء التدريجي والعمودي بالعملية التكاملية الأوربية، هذا ابتداء بالمجموعة الأوربية للصلب والحديد في عام 1952 مرورا بالسوق الأوربية المشتركة، في عام 1975، وصولا، بعد انتهاء الحرب الباردة، إلى الاتحاد الأوربي في عام 1993.

وتتقابل موضوعيا التناقضات والتباينات الأوربية التي لم تمنع أوربا من الارتقاء بتعاونها/تكاملها إلى مستوى متقدم، مع واقع عربي أدت مخرجاته إلى ان يكون التراجع والتردي والتشتت لصيقا به. وغني عن القول أن هذا الواقع لم يكن بمعزل عن تأثير عموم تلك الإشكاليات الهيكلية العربية، التي يتميز بها. فالتجذر التدريجي لتأثير هذه الإشكاليات، وهي عديدة ومتنوعة، لم تؤد فقط إلى تجذر التفكير والسلوك القطري، الذي أضفى ميثاق جامعة الدول العربية، ومن ثم النظام الرسمي العربي، عليه سمة الشرعية. وإنما أيضا إلى استمرار ارتفاع اسوار العزلة النسبية بين الدول العربية والحيلولة دون الارتقاء بتعاونها المشترك إلى مستوى التحديات القومية.

يقدم مؤتمر القمة الاقتصادية العربية في عمان عام 1988 مثلا واضحا على ما تقدم. فعلى الرغم من أن قرارات هذا المؤتمر أفادت بإدراك صناع القرار العرب لأهمية وجدوى الارتقاء بالاستجابة العربية إلى مستوى التحديات القومية، الآمر الذي أفضى إلى التوقيع على ثلاث وثائق تُعد من بين أهم وثائق مشاريع التعاون الاقتصادي العربي، هي: إستراتيجية العمل العربي المشترك، وميثاق العمل الاقتصادي العربي، فضلا عن عقد التنمية. بيد أن هذه الوثائق المهمة لم تدخل حيز التنفيذ منذ آنذاك إلى الان. إذ تم تجميدها في الاقل. والشيء ذاته ينسحب، على اتفاقيه الدفاع العربي المشترك والتعاون الاقتصادي لعام 1950 وكذلك على ميثاق الوحدة الثقافية العربية لعام 1964.

إن مخرجات التنوع العربي، متعدد المضامين والاشكال، جعلت التجزئة العربية بمثابة البديل ليس فقط لمشروع الوحدة العربية، وإنما أيضا لأشكال التعاون والتكامل الجماعي بين الدول العربية، سيما إنها، أي التجزئة، استمرت تؤدي دورا خصبا في تكريس تباين المصالح، وسوء الإدراك واختلاف السياسات، وعدم التنسيق السياسي الخارجي، مثلا. وعلية لا مغالاة في القول إن الواقع العربي صار مدخلا للتجزئة ومخرجا لها في إن.

ونرى أن التغيب المتعمد لهذا الواقع ينطوي على خطورة مهمة تتمثل في تكريس ثقافة التجزئة في الوعي التاريخي والإستراتيجي الجمعي العربي، ومن ثم تسهيل توظيف مخرجاتها، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من أجل تحويل الدول العربية لاحقا وتدريجيا إلى مجرد دول لا يجمعها سوى النطق باللغة العربية، وعلى غرار تلك الدول الناطقة باللغة الإنكليزية أو الفرنسية في أفريقيا مثلا، ومن ثم الإبقاء على الوطن العربي مفككا وضعيفا ومحطا لنهب إقليمي وعالمي ممتد.

إن مخرجات هذا الواقع العربي، وبضمنه ندرة توظيف العرب لقدراتهم الموضوعية المؤثرة على الفعل، دعمت، ضمنا أو صراحة، السياسات الخارجية لثمة دول عالمية و/أو إقليمية التأثير. وتفيد التجربة الطويلة لتعامل هذه الدول مع العرب أنها لم تتردد عن الوقوف، أما منفردة أو مجتمعة، بالضد من أي مشروع حضاري نهضوي عربي من أجل إفشاله.

إن المناهضة الدولية المتكررة لمشاريع النهوض العربي لم تعمد إلى مجرد إفشال هذه المشاريع فحسب، وإنما أيضا إلى إعادة ترتيب أوضاع الوطن العربي وعلى نحو يؤمن تعميق تجزئة الواقع العربي المجزأ أصلا وتكريس معطيات المشهد الناجم عنها، أي مشهد التردي والتراجع المستمر منذ عقود. فالقوى الدولية المناهضة للنهوض والتغيير العربي تدرك أن التجزئة العربية الأولى، بعد الحرب العالمية الأولى لم تحل، على الرغم من نتائجها السلبية المعروفة، دون تكرار محاولات التكامل والنهوض العربي. لذا، ومن أجل إلغاء أية محاولة عربية جديدة تعيد بناء الواقع العربي تمهيدا لبداية التغيير والارتقاء الحضاري العربي، يضحى استعمار مشاهد المستقبل العربي، ولا سيما مشهد التغيير، هو الهدف النهائي لهذه القوى.

إن تلك الآراء التي تغرق في التشاؤم، ومن ثم تعمد إلى التقليل من قدرتنا، نحن العرب، على النهوض الحضاري، تتناسى أن المستقبل يتحدد على وفق المشهد الذي يختاره كل مجتمع لذاته من بين العديد من المشاهد البديلة. لذا نرى أن حصيلة الصراع الدائر، ضمنا و/أو صراحة، داخل الوطن العربي بين المتغيرات الداعمة للتفكك والتشرذم والخروج من التاريخ وبين تلك التي تحفز على التعاون والتكامل والارتقاء والعودة إلى صناعة التاريخ، ستحددها مخرجات معطيات، مادية ومعنوية مهمة، مرئية وغير مرئية أخذت، ومنذ زمان، تنتشر ببطء، ولكن بثبات بين العرب.

ونقصد بها مجمل تلك المعطيات الداعمة لبناء شبكة واسعة وعميقة من المصالح المتبادلة بين العرب تمهيدا لعلاقة اعتماد متبادل وتكامل وطيد بينهم. لذا من المرجح أن يقترن المستقبل العربي خلال الزمان الممتد إلى علم 2050، بمشهد مركب سيجمع بين معطيات مشهدين، هما مشهد استمرارية التردي والتراجع ومشهد بداية التغيير والارتقاء الحضاري، وأن حصيلة الصراع بين معطيات هذين المشهدين هي التي ستحدد، على الأرجح، مستقبلنا العربي: فأما استمرارية التردي والتراجع، ومن ثم والخروج من التاريخ، وأما التجديد والنهوض، من ثم صناعة مستقبلنا بأنفسنا وعلى وفق مصالحنا وارادتنا المشتركة. وقد تناول مقالنا للشهر الماضي هذا المشهد بقدر من التفصيل.

2. الفرص الداخلية وصناعة المستقبل العربي

على الرغم من اقتران الواقع العربي الراهن بمعطيات التردي والتراجع، بيد أنه، في الوقت ذاته، لا يخلو أيضا من متغيرات مختلفة أخرى، والتي من المرجح أن تفضي مخرجاتها، عند تبلورها بعد زمان، إلى واقع عربي جديد يتميز بمقومات الفاعلية الداخلية، ومن ثم الخارجية. ونرى أن جل هذه المتغيرات تتوزع على ثلاث مستويات مهمة:

فأما عن المستوى الاول، فهو يقترن بالتبلور التدريجي لإدراك شبه شامل بين صناع القرار العرب مفاده إن استمرار تأثير مدخلات التردي والتراجع العربي سيفضي إلى تفاقم التحديات الداخلية والخارجية لدولهم، وأن العرب، بتكاملهم وتكافلهم، يستطيعون الارتقاء إلى مستوى هذه التحديات تأمينا للارتقاء الحضاري في الداخل ودعما للفاعلية الدولية في الخارج. ومن المحتمل أن يؤدي مثل هذا الادراك، المدعوم شعبيا، إلى اتفاق صناع القرار العرب على الآخذ برؤية حضارية تكونية بعيدة المدى، فضلا عن تخطيط استراتيجي يستند على دراسات تستشرف مشاهد المستقبل، وبمخرجات تجعل من الاخذ بمستويات متقدمة من التكامل العربي بمثابة الغاية المنشودة.

ويُعد هذا الإدراك حصيلة لتأثير ثمة معطيات عربية في طور التبلور. ومنها، مثلا الآتي:

-استمرار الانتشار الواسع لثقافة الانحياز إلى المستقبل بين العرب جراء انتشار الحوار الجاد بشأن جدوى الاستعانة بدراسات المستقبلات لاستشراف مشاهد المستقبل العربي: قطريا و/أو قوميا.، ولاسيما تلك الدراسات الاستطلاعية/المعيارية، التي لا ترى أن المستقبل يُعد حصيلة حتمية لحقائق الماضي ومعطيات الحاضر فقط وإنما صناعة إنسانية بالأساس.

-استمرار نمو الدور الفاعل لكتلة بشرية عربية، حضرية ومتعلمة وعاملة في ان واحد، في بلورة راي عام عربي أعمق وعيا وأكثر استعدادا للتأثير الجاد في أنماط حركة صناع القرار العرب من أجل إعادة هيكلة الواقع العربي على نحو أخر. ولنتذكر المظاهرات الشعبية الحاشدة التي شهدتها العواصم العربية بين وقت وأخر.

-استمرار اقتران نمط حياة شرائح عربية بتراكم تحولات كمية وكيفية عميقة يجعلها تتعامل مع معطيات الحاضر وامتداداته على وفق رؤية حضارية تجمع بين الأصالة والحداثة.

وأما المستوى الثاني من المتغيرات المؤسسة للواقع العربي الجديد، فهو يعد حصيلة لأدراك صناع القرار العرب لمحدودية الفاعلية الداخلية والخارجية الراهنة للنظام الرسمي العربي. خصوصا بعد أن يتم وصول فئة الشباب إلى قمة الهرم السياسي في بلدانهم.

ومن المحتمل أن يفضي مثل هذا الادراك بصناع القرار العرب إلى الاتفاق على تطوير وتفعيل دور جامعة الدول العربية من منظمة راعية لديمومة الواقع العربي الممتد منذ تأسيسها في عام 1945 إلى أخرى تتحمل مسؤولية الارتقاء بالواقع العربي إلى حالة متقدمة من التكامل النظامي عبر تخوليها صلاحيات مهمة تتيح لها اتخاذ القرار وتنفيذه؟

وأما المستوى الثالث من المتغيرات المؤسسة للواقع العربي الجديد، فهو يكمن في إدراك العرب لأهمية قدراتهم التأثيرية وامكانية توظيفها بفاعلية لصالح تحقيق اهداف وطنية وقومية. ولنتذكر مثلا المخرجات الايجابية للتوظيف العربي للنفط خلال حرب عام 1973. إن توافر مثل هذا الادراك سيدفع إلى الآخذ بسياسة خارجية موحدة، هادفة ومؤثرة، وبمخرجات ستفيد أن رحلة العرب نحو الارتقاء إلى مستوى القوة الإقليمية الكبرى قد بدأت.

وفي ضوء ما تقدم قد يقال، جراء تجذر معطيات التردي والتراجع العربي، أن التفاؤل بإمكانية حدوث التغيير في الواقع العربي يستوي وفرضيات الخيال العلمي أو التفكير الحالم. وبدورنا نقول: إن المستقبل لا يكون دوما امتدادا أليا لمعطيات الحاضر الرديء، خصوصا عندما تتزامن هذه المعطيات مع رؤية حضارية وإرادة واعية ورافضة لديمومة مثل هذا الحاضر وعاملة، في الوقت ذاته, من اجل التجديد الحضاري والارتقاء التاريخي.

وكما أننا لا نتفق مع القائلين بما تقدم، كذلك لا نتفق مع القائلين إن التجديد والنهضة تحول دونهما معطيات الحاضر غير المواتية. فنحن نرى أن المعطيات الامثل لولادة أي مشروع تجديدي نهضوي وتطوره هي معطيات الإخفاق والتراجع. فمثل هذه المعطيات هي التي تحفز على التجديد وصناعة المستقبل المنشود. ولنتذكر أن العديد من الدول، التي كانت يوما في قاع التأخر الحضاري، استطاعت، خلال زمان قصير نسبيا، الارتقاء إلى مستوى الدول السائرة في طريق النمو. ومثالها سنغافورة.

أن تجربة هذه الدولة تستحق التأمل فيها والاستفادة منها. فهذه الدولة، كسواها من الدول السائرة في طريق التقدم، استعانت بدراسات المستقبلات لتأمين ارتقائها الحضاري. وقد نجحت. وواقعها الحضاري الراهن يؤكد هذا النجاح.

3. الخاتمة

لقد أضحت دراسات المستقبلات ظاهرة عالمية. هذا لانتشارها السريع في دول العالم شمالا وجنوبا. ولم يكن هذا الانتشار بمعزل عن الادراك بجدواها سبيلا لتأمين تحقيق مستقبلها المرغوب فيه من بين العديد من المستقبلات الممكنة والمحتملة.

وتفيد تجربة دول سائرة في طريق التقدم والصعود الى قمة الهرم الدولي، ومثالها الصين وسنغافورة، أن أدراكها لأهمية دراسات المستقبلات في تأمين تحقيق المستقبل المرغوب من قبلها أفضى بها إلى الآخذ بالشروط اللازمة التي تفضي إلى تحقيق المنشود مستقبلا. ونتساءل: هل كانت الصين خصوصا تستطيع الارتقاء الآن الى مستوى الاقتصاد الثاني في العالم بعد ان كانت دولة متخلفة أيام ماوتسي تونك، وان تتجه، وبأرجحية عالية، إلى أن تكون هي الدولة القائدة للنظام الدولي في عام 2050, لو لم تأخذ بمخرجات دراساتها لمستقبلاتها.

اننا في الوطن العربي، وجراء مخرجات تأثير الاختلالات الهيكلية المتجذرة في واقعنا العربي وتأثيرها في نوعية جل الموقف الرسمي والمجتمعي السلبي حيال دراسات المستقبلات العربية، نحتاج إلى جهد متواصل لتحويل ثقافة العرب من الانتماء إلى الماضي إلى ثقافة الانحياز إلى المستقبل. وهذا يتطلب تظافر جهود رسمية وغير رسمية جادة ومستمرة. وبهذا الصدد، لنتذكر أن من لا يفكر في المستقبل، ومن ثم لا يخطط له، لا يستطيع المشاركة في صناعته. فالتوقف عن التفكير في المستقبل يُعد توقفا عن توظيف العقل. وهذا عندما يتوقف فأن هذا يشكل بداية النهاية ونهاية البداية، وبمحصلة تتماهى والاستلاب الحضاري. ■

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

لكلِّ مقامٍ...

صناعة الرّداءة وتكريس قواعدها

عند ذكر الجهل والجهّال يطفو إلى ذاكرة التّاريخ المشهد الرهيب لمقتل أيقونة العلم والفكر والفلسفة، «هيباتيا» الفيلسوفة السكندريّة (416-355)م وهي تُسحَل عارية وتُقتل وتُحرق. ربما يكون استحضار هيباتيا الجميلة المُلهمة من التاريخ السّحيق، نوعًا من إسقاط على الحاضر المتخبّط في وُحول الجهل والتّجهيل، أو تشبّهًا بـ «قتلُ العقل» السّائد في زمننا، ولكن بأدوات أخرى لم تكن شائعة منذ قرون طويلة. ثمّة من يرفض نظريّة المؤامرة في الإطباق على الكوكب بقبضة الجهل والرّداءة والتّفاهة، قائلًا إنّها ليست حديثة العهد، فالتّاريخ شهد عصورًا مماثلة طغت فيها الظّلاميّة وما جلبته من شرور على البشريّة.

ظلام العصر الحديث، أشدّ قتامةً من كل عتمة الماضي لأنّه يحاصرنا بآليّات الحداثة وأدواتها المُغرية، ولا يستطيع أحد النّجاة من براثنها. فالحالة عامّة تعصف بالمجتمعات قاطبةً مهما كان مستوى تحضّرها وتقدّمها ووعيها المعرفي. لأن خطة الإطباق شديدة الإحكام، والاستراتيجيّة شديدة الذّكاء وبعيدة المدى، والهدف مباشرة في المرمى.

استراتيجيّة «قتل العقل» وتجويفه، قوامها صناعة الجهل وتسويق الرّداءة، يديرها صنّاعٌ ومخطّطون ومبشّرون ومنظّرون ومستثمرون وداعمون ورعاةٌ ومستفيدون، وديماغوجيّون يعملون على حثّ المجتمعات على استحسان الرداءة والقبول بها والسماح بتوسيع إطارها. لتصبح خارج سيطرة النّخبة في انهزاميّة قلّ مثيلها، وفي استسلام وتعايش وتعوّد على الرّكاكة والتّفاهة، وبالتّالي القبول (الواعي؟) بها، والتّصفيق لها وتكريم صانعيها ونجومها، والانخراط في زمن انعدام القيمة الحقيقيّة وغياب الإبداع وتغييب القِيم الإنسانيّة. وبذلك، يتوزّع صنّاع الرّداءة بين: من يصنعها، ومن يهادنها ويروّج لها، ومن يستثمرها، لنشهد على تكريس مشهد يسوده العبث والفوضى والخواء الفكريّ، فينتج جيلًا آليًا، «زومبي»، مسلوب الإرادة والوعي، ملفوظًا من بطون الأجهزة والهواتف، هائمًا في مدنٍ وهميّة وفكرة افتراضيّة، يُسهم عبرها في تهميش منظومات القيم، وتكريس قواعد الرّداءة التي أصبح لها مريدون هم الغالبيّة.

محرقة تلتهم الجميع، بدأت بتسطيح العقول تمهيدًا لقتلها، عبورًا بتنميط الأفكار وخلق قضايا وهمية، ومراوغة الواقع، وصولًا إلى تخريب الذّائقة وتوجيهها تحت قناع الحداثة الجاذبة الجميلة الواهمة بالابتكار، والتي قال عنها إميل سيوران " إنّ أسوأ أنواع الرداءة هي تلك التي تُخفى تحت قناع الجمال." وفي المقابل يعوّل بعض الدّارسين والباحثين الجادّين على مَكر التّاريخ، فهو يهادن أحيانًا كثيرة، ولكنّه لا يسكت عن خداعه. وهو الماهر في ترتيب الاستحقاقات وإعادة بناء الهرميّة التي شُيّدت من حجارة الأصالة، مهما طالت مرحلة الرّداءة.

صناعة الرّداءة industry of mediocrity علاقة الصّناعات الحديثة وأكثرها شهرةً واتّساعًا وخرقًا للمنظومات الفكريّة، تنضوي، البشريّةُ بأجمعها، في صفوف جيشها السرّي والمعلن، وقلّة قليلة باقية تنتظر وصول الجثّة على حافة النّهر، تأكيدًا لقول أرسطو «إن الرداءة ليست فعلاً بحد ذاته، بل هي غياب للفعل الجيّد».

ماجدة

«أوكنفست» 2024 مهرجان الموسيقى البديلة

■ عاد مهرجان «أوكنفست» Oakenfest للموسيقى البديلة في نسخته الثامنة لهذا العام، ليقدّم لمحبي الموسيقى المختلفة تعبيرات فنية هي تمثيلات حقيقية للثقافة العربية الحديثة.

الفكرة التي بدأت بتجمّع صغير يموّل ذاتيّاً للاحتفال بالموسيقى البديلة، تحوّلت مع السنوات الماضية إلى مهرجان ثقافي وكيان مستقل يستضيف نحو 1000 مشارك. في منطقة «لحفد» الريفية في جبل لبنان، أقيمت النسخة الثامنة من المهرجان في 19 و20 و 21 تموز/ يوليو الفائت، بحضور كبير لجمهور عشاق الموسيقى، ومحبي الطبيعة، للاستمتاع بالعروض وبالطبيعة من خلال التخييم الذي هو جزء من المهرجان.

شارك في المهرجان فنانون من لبنان وفلسطين عبر مجموعة متنوعة من الأنماط الموسيقية: الإلكترونية، البوب العربي، الطرب، الشعبي، الدبكة، الإندي، الروك، والـ shoegaze ، بالإضافة إلى العديد من الأنشطة الخارجية.

يهدف «أوكنفست» الذي بدأ في عام 2013 في محيط طبيعي لغابة من أشجار البلوط، إلى بناء الوعي بالموسيقى المستقلة، وهو ملتزم بإبراز مواهب الفنانين العرب المستقلين في تجربة مهرجان موسيقي تخييمي، حفاظاً على المشهد الموسيقي المستقل والمثابرة بالمسؤولية، وتطوير الوعي البيئي، وتعزيز التنمية المحلية.

في خلال النسخ السبع الماضية، تم تقديم أكثر من 15 نوعاً موسيقياً، وحوالي 66 فناناً منهم 32 موهبة صاعدة و19 موهبة معروفة.

تضمن برنامج هذا العام ليلة افتتاحية يوم الجمعة 19 يوليو، مع عرض فيلمين مختارين من قبل جمعية REEF «الرحباني الثالث»، وهو فيلم لفيروز سرحال يسلط الضوء على حياة ومسيرة وإرث الملحن اللبناني إلياس الرحباني، والفيلم الوثائقي القصير "العودة للوطن" لناعم نعيف ومارغو بومان عن فرقة دبكة الحرية، مجموعة من الفنانين الفلسطينيين الأمريكيين. بالإضافة إلى أنشطة بيئية وورش عمل.

تميزت العروض بثماني حفلات، خُصصت ثلاثة منها للفنانين الفلسطينيين. زيد خالد، فنان بوب عربي فلسطيني ـ أردني، «سنيكسكين»، ثنائي من بيروت يقدم موسيقى إلكترونية حالمة. أمل كعوش، كاتبة أغاني ومغنية فلسطينية تهتم بالأغاني التراثية. إتيان، موسيقي لبناني مخضرم وسلوى جرادات، مغنية عربية تقليدية فلسطينية.

أشكرا، وحدة لبنانية ارتجالية تضم فرج حنا، خالد ياسين، وخالد عمران، موسيقاهم مستوحاة من الطرب والدبكة. هادي زيدان، فنان موسيقي ومنتج ثقافي لبناني يركز على موسيقى الرقص. خشان موكارزل طويل، فرقة لبنانية تقدم أصواتاً من shoegaze (نوع فرعي من موسيقى الروك البديل إلى الروك الحر)،

ملصق المهرجان

جائزة «غسان كنفاني للرواية العربية 2024» لـ «باقي الوشم»

■ في دورتها الثالثة مُنحت "جائزة غسان كنفاني للرواية العربية المنشورة» للروائي الكويتي عبد الله الحسيني، عن روايته «باقي الوشم» الصادرة عن منشورات «تكوين» في الكويت عام 2022 والحسيني هو كاتب وسيناريست كويتي وعضو في رابطة الأدباء الكويتية وحاصل على بكالوريوس الأدب والنقد من قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ويعمل محررا في وكالة الأنباء الكويتية /كونا.

فازت «باقي الوشم» بعد بلوغها القائمة القصيرة مع 5 روايات لدورة هذا العام، والتي ضمت أعمالًا من مصر وتونس وسلطنة عمان والكويت والأراضي الفلسطينية، بحسب إعلان وزارة الثقافة الفلسطينية في يونيو/حزيران الماضي.

وفي التعريف عن الرواية الفائزة، قال عضو لجنة التحكيم رياض كامل إن الرواية الفائزة "تتسم بالسبك الجيد المتماسك، وبقدرة مميزة لروائي شاب، لا يزال في الـ24 من عمره، إذ أبدع في رسم الشخصيات وبنائها بناء متيناً، يتناغم مع الزمان والمكان، مما ذكرنا بأديبنا الكبير غسان كنفاني، الذي غادرنا في سن مبكرة.

الجائزة التي تحمل اسم المناضل الفلسطيني الراحل، تأتي هذا العام بمناسبة مرور 50 عامًا على استشهاد الأديب غسان كنفاني، وهي تُعد إحدى أرفع الجوائز الثقافية التي تمنحها فلسطين من الناحية الرمزية لـ «كنفاني».

غلاف الرواية

جائزة آسيا جبّار لرواية «هوارية»

■ فازت الكاتبة والمترجمة إنعام بيوض عن روايتها «هوارية» الصادرة عن دار ميم للنشر والتوزيع، بجائزة «آسيا جبّار للرواية» في الجزائر في دورتها السابعة، وذلك عن فرع الرواية العربية. بينما ذهبت الجائزة في فرع الرواية المكتوبة باللغة الأمازيغية للكاتب الهاشمي كراش عن رواية (1954.. ميلاد أمل) عن دار تيرا، في حين حصل على الجائزة في فرع الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية عبد العزيز عثماني عن رواية (القمر المفتت) الصادرة عن منشورات القصبة.

أُطلقت جائزة الروائية الجزائرية الراحلة آسيا جبار للرواية عام 2015وتمنح سنويًا لثلاث روايات (الفرنسية، العربية والأمازيغية). وتحمل اسم الكاتبة والأكاديمية الجزائرية آسيا جبار (1936.2015) التي تقلدت العديد من المناصب الأدبية الرفيعة في فرنسا وبلجيكا ونالت جوائز أوروبية مرموقة، وهي أول عربية وأفريقية تصبح عضوًا في الأكاديمية الفرنسية في 2005، وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية.

أثرت آسيا جبار المكتبة العربية بأكثر من عشرين عملا شملت الرواية والمسرح والشعر، بالإضافة إلى أعمال في السينما إخراجًا وتأليفًا. ونشرت أول أعمالها بعنوان «العطش» في 1953 قبل أن تبلغ العشرين عامًا، ثم رواية «نافذة الصبر» في عام 1957، و«أطفال العالم الجديد» في 1962، و«نساء الجزائر» في 1980.

غلاف الرواية الفائزة

دورة استثنائية من «مهرجان الشّعراء المغاربة»

■ أقيمت في مدينة تطوان المغربية النسخة الخامسة من «مهرجان الشعراء المغاربة»، برعاية العاهل المغربي الملك محمد السادس، وعضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، ومن تنظيم دار الشعر في تطوان.

امتد المهرجان على مدى ثلاثة أيام، واستضاف أكثر من 30 مبدعاً من شعراء ومثقفين وفنانين وسط أجواء احتفالية بالشعر ومبدعيه، في دورة استثنائية جمعت بين الشعر والمسرح والموسيقى والتشكيل، وبين مختلف أجيال وأشكال الكتابة الشعرية، «منذ المؤسسين الروّاد وصولاً إلى المتوجين بجائزة الديوان الأول للشعراء الشباب»، بحسب الشاعر مخلص الصغير مدير دار الشعر في تطوان. كما شهد المهرجان حضور شعراء مغاربة مرموقين تألقوا في أمسيات المهرجان ولقاءاته الكبرى، حين جمع بينهم وبين جمهور الشعر في تطوان. وتابع أكثر من ألف شخص، فعاليات واحتفاليات هذه الدورة الاستثنائية، التي اعتُبرت تظاهرة ثقافية عربية كبرى احتفت بالشاعرات والشعراء.

شهد افتتاح المهرجان تكريم الشاعر والوزير الأسبق محمد الأشعري، الذي تسلم درع الحمامة البيضاء، وجاءت كلمته في الافتتاح لتؤكد أن "تكريم الشعر هو تكريم حقنا في الحياة، وتكريم حقنا في الانعتاق". كما تم تكريم الإعلامية المغربية زبيدة الفاتحي. وأعلنت إدارة المهرجان عن الفائزين بجائزة الديوان الأول للشعراء الشباب، حصد فيها الجائزة الأولى الشاعر الشاب عبد الصمد أجواو عن ديوانه "نجوم لي ولك". وحصل الشاعر الشاب محمد أشرف الشاوي على الجائزة الثانية عن ديوانه "للهامش أرمي وجهي". بينما ذهبت الجائزة الثالثة للشاعرة الشابة ليلى الخمليشي عن ديوانها «امرأةٌ في معطف أرجواني». ونوهت لجنة التحكيم بديوان «تائه في دُجى الأهوال» للشاعر الشاب أيوب داود، وبديوان «آخِرُ ما قاله السندباد» للشاعر الشاب سلمان الحساني.

فنّياً أحيت المهرجان الفنانة اللبنانية جاهدة وهبه، إلى جانب فرقة إبداع للموسيقى العربية، برئاسة إلياس الحسيني، وهي تقدم روائع الطرب العربي، وآخر القصائد العالمية التي لحنتها وقدمتها في مدينة تطوان، بحضور المئات من عشاق الشعر الجميل والطرب الأصيل. وتوج حفل الافتتاح بعرض مسرحية «جا وجاب» لفرقة المسرح الوطني.

توزيع الجوائز على الشعراء

تطور النقد الأدبي في الصحافة الثقافية

ليندا نصار ـ بيروت

كيف يمكن أن يكون النّظر إلى النّقد الأدبيّ في تطوره خلال هذه المرحلة الجديدة داخل الصّحافة الثّقافية ؟ هل ينبغي أن يكون نظريًا مقتصرًا على تلك المرحلة المتوفرة إلى غاية الآن، والمبثوثة في الدّراسات الأدبيّة؟ أم ينبغي فتحها على مرجعيّات جديدة تتجاوز حدود الأفكار النّقديّة الّتي كان ينحصر فيها النّصّ الأدبيّ على ذاته بوصفه بنيةً مغلقةً تبعًا للمفاهيم النّقديّة الّتي يتمّ استيرادها من المناهج النّقدية وتطبيقها بشكل آلي على النّصّ الأدبيّ من دون الوعي بخصوصيّته؟ وهل يمكننا أن نقرّ بمبدأ القطيعة بين هاتين المرحلتين المهمّتين في تاريخ النّقد الأدبيّ الحديث وإحداث انفتاح أسهم في التّأسيس لقراءات نقديّة تستجيب لأفق انتظار القارئ العربيّ؟ فما هي مكونات هذا النّقد وعناصره وأدواته التّحليليّة؟ وكيف يحضر من داخل الصفحات الثّقافيّة؟ وما علاقة الإعلام بالثّقافة؟ أهي علاقة تماه أم علاقة تقاطعات معيّنة؟ أسئلة كثيرة تراود المهتمين والمشتغلين في الإعلام الثقافي تحتاج إلى أبحاث رصينة للإحاطة بها.

النقد والأثر

إنّ الحقيقة النّقديّة هي الّتي تجعل الكتابة دالّة عليها، ومن ثمّ يصبح النّاقد "كاتبًا بمعنى الكلمة وتغدو كتابته "أثرًا مفتوحًا ذا طبيعة ملتبسة" كما يقول رولان بات في كتابه النقد والحقيقة، حيث يعتبر أنه ليس ضروريًا أن يكون النّقد خاليًا من الاعتبار الذّوقيّ، على أنّ هذا لا يعني إطلاقًا أن يخلو النّقد من إعطاء معنى للأثر اعتمادًا على القراءة، والقراءة الصّحيحة الواعية تراعي فيها مسألة اللّغة بوصفها بؤرة العمليّة في أدبيّات النقد الأدبيّ الجديد؛ ذلك أنّ النّقد ينشغل أساسًا باللغة نفسها؛ فهو "خطاب حول خطاب" غير أن ثمّة إشكال مهمّ يتعلّق بإمكانات النّقد الجديد نفسه الّذي أسهمت في تشكله روافد متعدّدة لم تبدأ اليوم فحسب، بدل تشكل في سياق انفتاح العلوم وتداخلها مع حقول معرفيّة مجاورة ما سمح ببناء تصوّرات جديدة أسهمت في توسيع آفاق النّقد وقدراته على تفكيك النّصوص وتقديم تمثيلاتها للقارئ بمختلف أنواعه.

من النص إلى النص

طرح رولان بارث Barthes Roland قضيّة "الانطلاق من النّصّ إلى النّصّ معتمدًا في ذلك الشكلانية الروسية بوصفها قاعدة يبني عليها النّاقد الموضوعي رؤيته إلى عالم النّصّ بعيدًا عن الرّؤية الانطباعيّة غير العلميّة؛ ومن ثمّ، يبعد كلّ عنصر خارجيّ من قبيل البيئة والعصر والظّروف التّاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة الّتي لا يمكن الاستئناس بها في نطاق ما هو نصّيّ". ولهذا يعمل تبعًا لهذا السّياق النّصّيّ ببلورة نقد يستنطق النّصوص يسعى إلى إيصال الكيفيّة الّتي يتكوّن على إثرها النّصّ، وأن تكون اللّغة النّقديّة وعاء لتخزين يمحو عناصر التّرابط مع المضمون؛ ذلك أنّ "تعلّم اللّغة معناه تعلّم الطّريقة الّتي يفكّر فيها في هذه اللّغة". قد يعود ارتكازنا النّقديّ على مصدر كلاسيكيّ في تحديد مصطلحات موضوعيّة، وذوق، ووضوح وهذا لا يعني استحواذًا على الأصل جراء ما قد يتولّد عنه من دلالات، فمثلًا ملاحظة البنيات الدّاخليّة التي تشكّل جوهر النّصّ الأدبيّ لا يعني بتاتًا التحليل البنيويّ بحذافيره؛ لأنّ الأساس التطبيقيّ يكمن في قراءة الأعمال الأدبيّة ونصوصيّتها تبعًا للحدود التي يفرضها الجنس الأدبيّ، والتحليل البنيويّ للنصّ الأدبيّ، على سبيل المثال لا الحصر، لا ينجز إلّا في ترابطه بنماذج تطبيقية.

هكذا تكون العلاقة الجدليّة بين مراحل النقد القديمة والآنية تآزرية، تستفيد من جميع المكوّنات، استفادة إبداعية؛ أي استفادة يتم بها تشكيل عنصر الابتكار، بمعنى آخر، إنّ الاتباع يصير أحيانًا مصدرًا للابتداع المذهل. ولهذا فإن القطيعة بين مفهوم النقد قديمًا ومفهومه حديثًا، بشكل نسبيّ الاعتبار؛ لأنّ طبيعة الجدّة التي تتّصل بالنقد الراهن تستند في رؤيتها إلى اعتبارات حضاريّة وثقافيّة وإبداعيّة (وإبداعية في نطاق الثقافة) مع اعتبار الجانب الاجتماعيّ أو ما يسمى بالبيئة تأثيرًا وتأثرًا.

وعليه، فإنّ النظر إلى النقد الجديد في تطوره الراهن ينبغي أن يكون نظريًا موضوعيًا عن طريق التركيز على الشروط والآليات، وليس على التأويلات التي لا تحتكم إلى ما هو نصّيّ من جهة، وموضوعيّ من جهة ثانية.

تنوّع النقد في الصفحات الثقافية

يحضر النقد الأدبيّ من داخل الصفحات الثّقافيّة بطرائق متعدّدة؛ إذ نلمس اهتمامًا ملحوظًا بالرواية والشعر مقارنة بنقد النقد؛ أي قراءة الكتب النقديّة الصادرة حديثًا أو الدراسات الأدبيّة التي تعمل على تطبيق منهج من المناهج النقديّة؛ ولهذا، فإنّ حضور النقد الأدبيّ يصبح كما يكتب الناقد التونسي عبد الدائم السلامي في كتابه كنائس النقد، "جَرْدًا لمُكوّنات الرواية أو القصّة أو القصيدة مكتوبٌ بلغة تقريريّة، يصلح لكلّ نصّ مكتوب ولكلّ نصّ لم يُكتب بعدُ، بل ويصلح أيضًا لكلّ نصّ لن يُكتبَ أصلًا". إنّ هذه الإشارة التي يوردها الناقد عبد الدائم السلاميّ تتّسم بالدقّة؛ لأنّها تظهر مواكبة حثيثة للإعلام الثقافيّ، وخصوصًا طبيعة النقد الذي يمارس من داخلها.

هل يعني هذا أنّنا خرجنا من مرحلة، كانت فيها الصفحات الثقافيّة تشكّل فضاء للسجال وإبداع تصوّرات نقديّة كان لها صدى في الجامعات؟ أم أنّها تحوّلت بموجب العولمة، وخطاب التسليع إلى ممارسة ثقافيّة تسعى لأن تقدّم لقارئها نصوصًا بهدف تحقيق التواصل، وإنتاج قارئ مستهلك. ومن ثمّ يصبح التبادل الرمزيّ بينهما مرتبط بكلّ ما هو جديد من النصوص الأدبيّة، ولاسيّما ع ظهور فكرة الجائزة وضغط الميديا؛ حيث تسعى الصفحات الثقافيّة إلى تقديم قراءات تتّسم بالتسرّع وهيمنة الموضوع أو محاولة نسف العمل الأدبيّ بهدف تقويض الجائزة من الداخل ونزع شرعيّة التحكيم عن اللجان، أو بهدف كسب شهرة واسعة في ظلّ انتشار هذا النوع من المقالات التي تتصيّد بعض الهفوات، ويمكن التمثيل على ذلك اعتماد بعض الروائيّين على الويكبيديا من دون الإحالة على ذلك في النصّ، وما واكب هذا التوظيف من شكّ في روائيّة بعض الكتّاب والكاتبات، وكذا انبهاره بجنس أدبيّ معيّن، وبعوالم تخييليّة معيّنة قد ترتبط في كثير من تصويرها التخييليّ بالآخر، من دون القدرة على الإبداع من المحليّ.

يتابع الناقد عبد الدائم السلاميّ في هذا السياق: «هذه الخصوصيّات الثقافيّة للنصوص الأدبيّة أمرٌ يجب ألاّ يكون سببًا لتفضيل نصٍّ منها على آخر وَفْقَ ما شاع بين الناس من إعلاء زائف لثقافات بعينها على حساب ثقافات أخرى، وإنّما الحقيقة الممكنة في هذه المسألة هي أنّ بعض الثقافات قد تقترح في أوقات ازدهارها الحضاريّ على ثقافات أخرى بعضَ المفاهيم والرؤى الفكريّة التي تُفيد مسارات هذه الأخيرة الإبداعيّة، والعكس ممكن أيضًا. وما تلك الخصوصيّات من كلّ نصٍّ إلا سبيلُه إلى أن يكون لونًا من ألوان حديقة الإبداع الأدبيّ داخل دائرة مجتمعه الثقافيّ من جهة، وداخل مجتمع الثقافة الإنسانيّة من جهة ثانية. فالأدب محلّيٌّ بالضرورة، وبقدر ما يُخلص لمَحَلّيته يستطيع مخاطبةَ الإنسانيّ في الإنسان، ويكون بذلك أدبًا عالميًا، بمعنى أنّه يمثّل زهرة من باقة الأدب البشريّ». ■

رولان بارث

الشاعر والمترجم المصريّ أحمد زكريا:

الترجمة.. سفرٌ بين هويّتين

نسرين الرجب ـ لبنان

الشاعر والمترجم المصري أحمد زكريا، يعمل باحثا متخصصًا في الشأن الثقافي التركي، صدر له مجموعة شعريّة بعنوان «جداليّة» عن دار المحروسة في القاهرة، العام 2009. وقد حصل على جائزة متحف محمود درويش الشعريّة لعام 2015، غادر مصر عُقب أحداث ثورة يناير متوجهًا إلى تركيا العام 2013، وهناك ارتمى في أحضان الأدب التركي، ونشط في ترجمات شعريّة لشعراء أتراك مغمورين، ثمّ توّج علاقته بالأدب واللغة التركيّة وتزوّج من المترجمة والمؤلفة التركيّة ملاك دينيز أوزدمير، ليبدأ معا رحلة الترجمة إلى العربيّة، ورفدا المكتبة العربيّة بعناوين مهمة منها: "ثلاث سنوات ونصف مع ناظم حكمت" لأورهان كمال، رواية «الشيطان الذي بداخلنا» لصباح الدين علي، «أنطولوجيا الشعر التركي الحديث»، «الدنيا قدرٌ كبير وأنا مغرفة .. رحلة مصر والعراق» لعزيز نيسين، رواية «عزيزي الموت الوقح» للكاتبة لطيفة تكين، ثمّ عاد إلى الشعر بالمجموعة الشعريّة الحديثة الصادرة عن دار النهضة العربيّة لبنان، "ما لم أستطع قولهُ لأحدهم بلغة أخرى".

في حديث للحصاد، يحكي زكريا عن قليل من تجربته الجامعة مع الترجمة والشعر، عن الهويّة والغربة وعن الحنين للبلاد وناسها، عن المرأة وحضورها الذي يُشكل ملجأ ووطنًا بديلًا لمن نفته البلاد أو نفى نفسه عنها عتبًا وملامة.

بداية الرحلة

تشكّلت علاقة زكريا بالأدب، منذ الصغر، وهو مواليد العام 1984، وكان الشعر ملاذَه الذي مرّ بمحاولات لم تلق التوثيق حتى وصوله إلى المرحلة الجامعيّة، وكتابة ديوانه الأوّل «جداليّة» العام 2009: «تعلّقتُ بالقراءة منذ الصغر، ربما بسبب فشلي في لعب كرة القدم مع الأطفال، وهي اللعبة التي يعشقها الجميع، وبفضل جدّي لأمي أحببتُ قراءة الأدب بشكل عام، وبالأخص الشعر الذي جذبني أكثر من أي لون أدبي آخر. حاولتُ في فترة مبكرة من حياتي أن أقلّد القصائد التي أحبها، لكن المحاولات الجادة بدأت في الجامعة مع دراستي للأدب العربي».

غادر زكريا مصر عُقب أحداث ثورة يناير، يقول في إحدى أسطره الشعريّة: «لم أشهد بمصر/ سوى البكاء على زمنٍ ضائع». وكانت الوجهة تركيا:

من الممكن أن نسميها «صدفة مدبرة"، بمعنى أنني كنتُ أريد أن أغادر مصر إلى أوروبا فنصحني صديق مقرب وهو ألماني من أصل تركي أن أذهب إلى تركيا، (وقد أشار له في قصيدة بعنوان «اختبأنا في لغتنا الخاصة» حيث يقول في سطرٍ شعريّ: «وأنتَ أوّل من فتح لي خريطة العالم..»).

وعن اختياره العمل في الترجمة، يُضيف: «فكّرتُ في الأمر وشعرتُ بوجود فراغ كبير في مجال الترجمة بين التركية والعربية، وأنني من الممكن أن أعمل لاحقاً في هذا المجال. إذن الصدفة كانت اختيار تركيا، ولكن عندما جئتُ إلى هذا البلد متعدّد الثقافات تعلّقتُ كثيراً به وبثقافته، وحاولتُ قدر استطاعتي أن أجتهد في تعلُّم اللغة التركية والتعرُّف على هذه الثقافة الجديدة، والاطلاع على الأدب التركي، ومع الوقت ازداد شغفي بالثقافة التركية ومع الوقت صرتُ مترجماً متفرغاً للأدب التركي وباحثاً في الثقافة التركية».

الصُدفة من الترجمة إلى الحُب

توّج زكريا علاقته بالأدب التركي بالعديد من الترجمات إلى العربيّة، وكانت المترجمة ملاك دينيز أوزدمير رفيقة الترجمة والحياة، تعارفا وتحابا وشغفهما الحُب أدبًا، فكان النتاج جسرًا بين بلدين وبين هويّتين، وعن هذه التجربة يقول:

«هذه هي الصدفة، وربما هي أجمل صدفة في حياتي. أقصد ارتباطي بالمترجمة ملاك دينيز أوزدمير، وكانت قبل تعارفنا مهتمة كثيراً بالثقافة العربية، بحكم دراستها للغة العثمانية وشغفها بالتعرف على الأدب العربي. هي عرّفتني على الأدب التركي، وأنا بدوري عرّفتُها على الأدب العربي، وبدأنا في ترجمة أول كتاب لنا وهو "ثلاث سنوات ونصف مع ناظم حكمت" للروائي أورهان كمال. وعندما وجدنا اهتماماً كبيراً بالكتاب الذي صدر عن دار المتوسط في ميلانو، قررنا أن نتبعه بكتاب آخر، وهكذا، حتى وصلت عدد ترجماتنا حتى الآن إلى أكثر من عشرين كتاباً. بالتأكيد كانت هناك عوائق في بداية الطريق، كالتعرُّف على دور النشر وإقناعها بترجمة عمل ما. أما الجانب الجيد في الأمر فهو عملنا بشكل مشترك، مما يجعل الترجمة أكثر دقة، لأن لغتها الأم هي التركية ولغتي الأم العربية».

بعيدًا عن السياسة ومنغصاتها، يشق زكريا وزوجه طريقهما في الترجمة مع كلّ ما يعنيه الطريق من معوّقات وميسّرات، إلّا أن الترجمة ليست أحاديّة الاتّجاه، بل هما يجهدا للتصويب نحو الترجمة عن العربية إلى التركيّة وهو ما تتولى مهمته دينيز كما يذكر:

«بالتأكيد نحن نحاول أن نبني جسوراً حقيقية بين الشعبين العربي والتركي، بعيداً عن السياسة التي تتغير بتغيُّر المرحلة، كما نشاهد الآن. نحن نعرف أن الثقافة تحتاج وقتاً لرؤية نتائجها في المجتمع، لكننا نعتقد أنها الأبقى. أما عن الترجمة المعاكسة من العربية إلى التركية فقد بدأنا بالفعل في ترجمة بعض القصائد ونشرها في المجلات الأدبية التركية لشاعرات وشعراء عرب. وفي هذه الحالة تتحمل دينيز الجزء الأكبر من المهمة، لأن لغتها الأم هي التركية كما ذكرتُ».

ما لم أستطع قوله بلغة أخرى

صدرت المجموعة الشعريّة «ما لم استطع قوله بلغة أخرى» عن دار النهضة العربيّة في بيروت العام 2024، وتقع في 56 صفحة من الحجم الوسط، وفي عشرين قصيدة متنوعة الطول والغرض، حضر المكان بكلّ رمزياته وحضرت الثقافة، بكل نوافذها، نهل زكراي من معين التراث التركي، وأهدى قصائدًا لشخصيات لها قصصها وتاريخها في البلاد من ناظم حكمت، حتى المغني التركي من أصل كردي أحمد كايا، وغيرهم كثير. وحضر سعدي يوسف ليتواسى بغربته: «في أرضٍ غير عربيّة/ يجلس سعدي وحيدًا..».

تُمثّل هذه المجموعة دليلًا شعريًا يقودنا إلى تجربة زكريا الحياتيّة، وإلى علاقته بالبلاد وأهلها، إلى جدل الهويّة، والغربة بكل مساحيقها النفسيّة. بين النيل والبوسفور «أريد أن امسك بلحظات الضعف/ وألقي بها في الهواء/ أريد أن أكتب ما لم استطع قوله لأحدهم ذاك الصباح».

وحضرت المدينة برمزيّاتها المكثّفة: «المدينة كلمة فضفاضة كأحلام الغزاة/ ومعقّدة كالنقوش الحجريّة»، «أبحث عن بلاد لا تحاول أن تحذف الربيع من الكتب المدرسيّة». وفي المجموعة نصوص تحررت من قواعد الوزن، ولم تتحرر من قواعد الحنين، تختلط المشاعر في هذه المجموعة، «أشعر أنني واحدٌ من غرباءك يا إسطنبول» ويقول في نص آخر: «لكنّني أموت كل يوم في القاهرة». رجل تسكنه بلاده التي شكّلت في ظروف ما محطة غربة، حتى يقول غضبًا وعتبًا: «أيها الوطن أخرجني من رأسك الصفيح»، ويلجأ للنفي في عناوين منها «لا أبحث عن بلادي"، "لا أحمل جراح غيري».

وقد تأخر وقت الحنين، فيقول في نص «واحدٌ من هؤلاء»: تأخر الوقت الذي سنكون أهدأ فيه/ من خطب الجوامع/ من صلاة العيد في الساحات/ من أهلي على الإفطار/ من كل الشعائر في البيوت/ وفي الشوارع/ في دفء الزيارات الجميلة في المساء/..» حتى يقول: «ولا أقول النيل يجري في عروقي/ إنّما يجري دمي في النيل/ حين أحسُّ أنّي واحدٌ من هؤلاء..».

يوحي الديوان بحاجة صاحبه للبوح والركون إلى عربيّته بتلك التفاصيل وذلك الشعور بالحاجة للإخبار، وهو وفيٌّ لبلاده بذلك الحنين الذي يسكن أسطره الشعريّة وذلك العتب الذي يتجلى تساؤلًا: «لماذا أفلت يدي/ عندما بلغت الأربعين يا أبي..» ويقول «لماذا تذبحني في منامك كلّ ليلة».

وهو الضائع بين هويّتين يُلقي أحماله في إسطنبول، فيحضر معجم الغربة والأقليات، أبناء العشوائيات، المهاجرين، الغرباء.

يؤكد زكريا في حديثه لـ «الحصاد» على ما يُخبر به الديوان، عن تلك المشاعر المتضاربة، وعن الصراع بين الحنين والغربة، عن الوحدة بتجلياتها المعرفيّة والنفسيّة، عن الحاجة للانتماء، عن الخيبة وجروحها: «لا أحمل جراح غيري/ يسعُني جرحي»، يقول:

«مشاعري مختلطة كثيراً، وقد حاولتُ التعبير عن حالة هذه المشاعر المضطربة بين بلدين، وبين ثقافتي والثقافة الجديدة التي أعيشها، وفي رأيي، المشكلة لا تخصُّني وحدي، لكنها تخصُّ جيلاً كاملاً مثلي من الذين هاجروا في مثل عمري. أنا تركتُ مصر في الثلاثين، وهذا يعني أنني عشتُ نصف عمري، تقريباً، في مصر، وهذا ما يجعلنا، على عكس من هاجروا في سنٍّ صغيرة، نشعر أننا بينَ بينَ. لم نعد ننتمي تماماً إلى بلادنا، ولن نستطيع أن ننتمي إلى البلد الجديد بشكل كامل أيضاً. يضيف: هناك حضور واضح لأماكن وشخصيات تركية، لكنني حاولتُ أن يكوت لها سياقاً شعريّاً، ضمن موضوعات القصائد».

ويشير إلى أنّ اهتمامه بالشان الثقافي التركي لم يُبعده عن القضايا العربية، ويشغله ما يحدث في فلسطين.

«في الذكرى الثالثة والسبعين للنكبة؟/ في مأزقٍ كهذا/ كيف أفصل العامّ عن الخاصّ؟».

بين هويّتين

يبقى أن الشعوب تتلاقى بآدابها، وهذا ما يُشير إليه زكريا، حيث يقول: «الأدب التركي فتح لي نوافذ جديدة بالتأكيد، وأتصور أن عملي بالترجمة قد أثر، بشكل أو بآخر، على نصي. أما عن أوجه التقارب بين الأدبين العربيّ والتركيّ، فهناك تشابه كبير بين الثقافتين العربيّة والتركيّة، بحكم الدين والجوار والتاريخ المشترك لعقود، وهو ما يجعل الموضوعات الأدبية متشابهة. وأحب أن أذكر هنا مثالاً على كاتب تركي مثل عزيز نيسين، تُرجم إلى العربية للمرة الأولى من قبل المترجم الأردني صفوان شلبي ثم بدأ مترجمون آخرون بترجمة أغلب أعماله. وسبب اهتمام القرّاء العرب بقصص عزيز نيسين الساخرة، في رأيي، أنهم وجدوا فيها ما يشبه واقعهم العربي».

ويبقى السؤال هل أخرج زكريا الوطن من رأسه ، حتى يقول في سطرٍ شعريّ تأفُّفيّ ومُتعب: «أيها الوطن أخرجني من رأسك» ، الجواب كان على لسانه نفيًا:

«لو كنتُ أخرجتُ الوطن من رأسي لما كتبتُ هذا الديوان من الأساس. أنا فقط حاولتُ أن أتعامل مع الحنين بطريقة غير تقليديّة. أردتُ أن أُسائل الحنين إلى الوطن، ومعنى الوطن نفسه، واللغة الأم، إلخ. لا أعرف إذا كان وطني قد قهرني أم لا، قياساً بعشرات الآلاف من المصريين الذين ما زالوا يعانون الآن في ظل ظروف عصيبة..».

يقول في نص بعنوان، «أولد من جديد»: «كأنّي بغير اللغة الأم/ أصيرُ يتيم المعنى؛/ أتحدّث عن أشياء عامّة/ وأُقارن شمس بلادي بشموس بلاد أخرى/ وكأنّ الشمس لكلّ النّاس ليست واحدةً». ■

«تعلّقتُ بالقراءة منذ الصغر، وبفضل جدّي لأمي أحببتُ قراءة الأدب وبالأخص الشعر الذي جذبني أكثر من أي لون أدبي آخر»

أمين الغفاري ـ لندن

المؤلف الدكتور مازن الرمضاني

قراءة في كتاب للدكتور مازن إسماعيل الرمضاني

مستقبلات الدور العالمي للصين في عام 2050

في هذا الوقت الذي تشغل فيه الصين، العالم كله، بتقدمها المذهل في ميادين متعددة، وتحولها من دولة معزوله الى دولة من اعظم الدول الاقتصاديه في عالمنا المعاصر ومن ثم أصبحت الصين احد الشواغل الرئيسيه لكل المراقبين والمتابعين لمجرى السياسة الدوليه. يصدر هذا الكتاب (مستقبلات الدور العالمي للصين في 2050) للأستاذ الكبير الدكتور مازن الرمضاني، وهو المشغول على الدوام بالمستقبل وأهمية العمل والاجتهاد بالدراسة والبحث لأقتحام هذا المجهول بكل مالدينا من جهد،وما نحصله من علم واجتهاد وخبرات، حتى نكون على دراية تامه بوقع خطانا،ومسارها المدروس. ان التقدير العام والمتداول لدي الكثيرين من الباحثين السياسيين والمتخصصين من أهل الفكر السياسي والاقتصادي والعلمي يشير بشكل مؤكد، بحتمية الصعود الصيني على المسرح الدولي لكي تأخذ مكانها ومكانتها على الساحة الدوليه، في عالم يبشر من جانب آخر بدخول التعددية القطبيه الى واقعنا السياسي بصورة اسرع مما يقدر بعض الخبراء. وعلى ذلك اصبح علينا ان نواكب هذا العالم المرتقب من خلال الفهم والادرك لطبيعة هذا الزمن،وصراع المصالح الذي يتحكم فيها من يملك الدراية والعلم بصناعة المستقبل، لكي يأخذ مكانه،و يرسى قواعد وأصول مكانته.

الكتاب وتبويبه

يبدأ الكتاب بتقديم يتناول فيه الكاتب الأوضاع السياسيه، بجذورها التى تمتد الى قرون مضت ويحددها ابتداءا بمعاهدة (وستفاليا) عام 1648 باعتباران تلك المعاهده قد انهت الحروب الدينيه،التي امتدت الى ثلاثين سنه في اوروبا،ونتج عنها ارساء تلك القواعد المؤسسه للعلاقات الدوليه بشكلها المعاصر.كما انها تعد أولَ اتفاقيه دبلوماسيه فى العصر الحديث ترسي نظاما جديدا فى اوروباَ الوسطى والغربيه تم بناؤه على مبدأ سيادة الدول. يستطرد المؤلف قائلاً أنه منَذ ان أبرمت تلك المعاهده والنظام الدولي يتأسس على مفهوم مركب، جمع بين دالة الدوله القوميه ذات السياده، وبين نمط توزيع القوة، الذي تراوح عبر الزمان بين نمطين، الأول عمودي، والثاني افقي، وبينما يشير التوزيع الأول (العمودي) للقوة بكونها تشكل (أحتكارا)، أو (شبه أحتكار) من احدى القوى الكبري في القدرة على التأثير،وامتلاك النفوذ الدولي الطاغي،ويضرب مثالا لذلك النفوذ بالهيمنه البريطانيه في القرن التاسع عشرعلى امتداد العالم وكذلك بالهيمنه الأمريكيه العالمية ايضا، بعد انتهاء الحرب الباردة،وسقوط الأتحاد السوفييتي، وبالتالي تمزق المنظومة الاشتراكيه. في المقابل يعبر التوزيع الثاني (الأفقي) للقوة عن نمطين مختلفين من توزيع القوة بين القوى الكبري،فهو قد يكون (ثنائيا) ومثاله الواضح في ذلك النظام الدولي خلال حقبة الحرب الباردة (1947 ـ 1991) وكانت الولايات المتحده والاتحاد السوفييتي محوره الاساسي أو قد يكون متعدد الاقطاب ومثاله النظام الدولي خلال الحقبه بين (1648 ـ 1914) فقد جمع بريطانيا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا واليابان ، والشئ ذاته ينسحب على الحقبه الزمنيه بين الحربين العالميتين الاولى والثانيه فالنظام الدولي آنذاك تمحور حول الدول المنتصره بالحرب العالمية الاولى عام 1914 .

الحراك الدولي

تبينت لنا ظاهرة الحراك الدولي واضحة، في نهاية العقد الثاني من هذا القرن (الحادي والعشرين) بشقيها الصاعد والهابط، من خلال تلك الدول المؤثرة حاليا في السياسة الدوليه، فهي تتوزع على مستويات ثلاث: هناك دول كبري تتقدم صعودا باتجاه قمة الهرم السياسي الدولي، ودول أخري كبري اصبحت تشكل مكانتها الدوليه بالتراجع التدريجي، كما يوجد بينهما كذلك دول كبري اخرى تكافح من اجل بقاء مكانتها، وتأثيرها الدولي مستمرا . وانطلاقا من سرعة حركة التغير التي تغمر عالم اليوم ،وفي اطار تحديات جمه تلازم حركته، كان علينا ان نتواكب مع تلك الحركه من خلال البحث والدراسة في حاضر ومستقبل تلك الدول التي اسلفنا رصد واقعها الذي اصبح يساير مستوياتها، ولاسيما تلك التي تتقدم صعودا، ونخص هنا دولة (الصين)، أو تلك التي بدأت في التراجع هبوطا كالولايات المتحده الأمريكيه.

يستطرد الدكتور مازن فيقول: علينا ان نتذكر ان المرء اذا كان لا يستطيع الاستهانه بالدور الدولي المؤثر لبعض الدول المتوسطه، وحتى الصغري في احيان أخرى، فانه لا يستطيع بداهة نكران التأثير الممتد لسياسات الدول الكبري.

الصين وخصوصيتها

تتمتع الصين باهتمام الكثير من المحللين، وذلك باعتبارها (تعد من اوائل مجموعة الدول التي تبرز بوتائر سريعه في طريق النموالتقدم الى حد قيل فيه أنها المنافس المحتمل لمقارعة الولايات المتحده الأمريكيه ،بل والتفوق عليها، وبذلك فانها المرشحه لكي تسطر نهاية القرن الأمريكي). كل تلك احتمالات، ولكن تبقي مع ذلك الحقيقه التي تقول (ان الولايات المتحده تسعي الى تكريس نظام القطبيه الأحاديه، في حين ان الصين تسعي الى اعادة رسم وتغيير النظام الدولي). ثم علينا هنا ان نستدرك ونقول(ان المستقبل الذي هو البعد الأخير من ثلاثية أبعاد الزمان (ماض وحاضر ومستقبل) يشير عند تفكيرنا به في الحاضر الى زمان لم يحن بعد، ولكنه قادم حتما، وكذلك لا تتوافر عنه معرفة يقينيه، أو شبه يقينيه مسبقه). لكن مايعزز الفرضيات التي يمكن ان نطرحها حول نهضة الصين المتوقعه خلال الأكثر قليلا من العقدين القادمين من الزمان، هو التزام القياده الصينيه بصناعة المستقبل الذي يجعل من الصين الدولة القائده للنظام الدولي متعدد الاقطاب قيد التشكل الآن، وسوف يكون هو المشهد الذي ستعمل على تحقيقه الصين في 2050 أي بعد مرور مئة عام على تأسيسها في عام (1949).

اسئلة البحث

يطرح الكاتب عبر سطوره خمسة تساؤلات تتناول القضايا التاليه:اولا: ما المتغيرات الداخليه الداعمه للفاعلية الدوليه للصين؟ ثانيا: كيف كان التوجه السياسي الخارجي الصيني، وكيف أضحى الأن؟ ثالثا: ما الاولويات الراهنه للسلوك السياسي الخارجي الصيني؟ رابعا: كيف يحتمل ان تكون السياسة الخارجيه الامريكيه حيال الصين؟خامسا:ما المستقبلات البديله للدور العالمي الصيني في 2050؟ وقبل الدخول في اي شرح يتناول تلك الأسئله وكيفية الاجابة عليها،علينا ابتداء القاء نظره مختصره على تاريخ الصين. وهو تاريخ يقترن بخمس مراحل اساسيه، تمتد الى عمق التاريخ الانساني في ابعاده الزمنيه ا،على النحو التالي: مرحلة الامبراطوريه الصينيه (1360 ـ 1840). مرحلة الأذلال الغربي للصين (1840 ـ 1912). مرحلة تشانج كاي تشيك (1912 ـ 1949). مرحلة ماوتسي تونج 1949 ـ 1976). مرحلة الصلاح والتحديث الداخلي الممتده من 1976 الى الآن.

بغض النظر عن المرحلتين الأولى والثانيه، دخلت الصين في القرن العشرين بعد ان استطاع الحزب القومي الصيني (الكومنتانج) 1912 اسقاط النظام الملكي الصيني حكم اسرة (تشينج) وتأسيس دولته التي اطلق عليها (الصين الوطنيه) وكانت دوله ضعيفه داخليا وخارجيا وقد استمر هذا الحزب في الحكم حتى انتصار الشيوعيين بقيادة (ماوتسي تونج) 1949 على القوميين الصينيين في الحرب الأهلية التي اندلعت بين الطرفين، وقد توج هذا الأنتصار باعلان (جمهورية الصين الشعبيه) في الأول من أكتوبر1949. يمضي الدكتور مازن في القول ان اعلان الصين جمهوريه شعبيه ذات ايدولوجيه اشتراكيه،و خصائص قوميه صينيه قد اسس نقطة البدايه، لتحقيق المشروع القومي للصين ،وقد أريد به أن تعود الصين أمة واحده،ومؤثرةعالميا كما كانت أيام امبراطوريتها قبل ذلك.في هذا السياق.

غنى عن التعريف ان (الجسد الوطني/القومي) للدول المؤثرة يحتضن بين طياته مدخلات عوامل) القوة بمعنى القدره على الفعل الهدف والمؤثر وبين مدخلات (عوامل)الضعف التي تحد من القدره على الفعل المؤثر. ذلك ينطبق بدوره على الصين، فجسدها القومي يحتضن عوامل قوة خشنه وكذلك عوامل قوة ناعمه، وكلاهما من المفترض عليه ان يلعب دورا فاعلا في تقدم ونهضة الصين، وذلك بالأستخدام الأمثل لكليهما، ولكن يبقى ان لكل تلك العوامل، أو المدخلات جوانب اخرى فرعيه لابد من احتساب آثارها في عمليات التغير المحتمله.ينطلق الدكتور مازن من ذلك التصور حول العوامل أوالمدخلات الى تفصيلات تتناول تلك العوامل بالكثير من التركيز والشرح حول معالمها الرئيسية.

عوامل النهوض المتعددة

حول العامل الجغرافي يقول المؤلف ان دعاة المدرسة الجغرافيه السياسية (الجيوبولتيكيه) في السياسة الدولية يولون هذا العامل أهمية خاصة،وكأنه يستوى والحتمية المطلقة للتأثير الجغرافي في عملية صنع السياسة الخارجيه، وقد تمتعت مثل تلك الرؤية باستجابة عاليه، بيد ان مستجدات قد طرأت على عالم اليوم اضافت الى اهمية العامل الجغرافي اهمية عوامل أخرى،مثل العوامل الأقتصادية والتكنولوجية، وان كان ذلك لا ينفي العامل الجغرافي وبقاؤه مؤثرا في التفكير الأستراتيجي لصناع القرارالسياسي لأسباب كثيرة ، ثم تتوالى العوامل الأخرى ويفرد لكل منها مساحة واسعه من الشرح ،لا نتعرض لتفصيلاتها لضيق المساحه في الكتابه.يذكر الكاتب العوامل التاليه : مساحة الدوله ومدى تميزها في الزراعة،والسكان وتعدادهم وحجم الرعاية الصحية وكفاءتها، ومنظومة الثقافة وتطورها، والأقتصاد وثرواته وحجم العماله وخبراتها، ثم العامل العسكري ومدى التحديث في مكوناته العسكريه والكفاءة التي يتمتع بها ،وكذلك مدى تأثيره على القرار السياسي بحكم توجهه العقائدي، ومن حيث الأعتداد بجاهزيته. ثم نصل في النهاية الى عامل شديد الأهميه، وهو عامل (القوة الناعمه) ويفرد له الدكتور مازن تعريفا لأستاذ جامعة هارفارد الأمريكيه (جوزف ناي الأبن) وقد ورد ضمن تصنيفاته لمفاهيم القوة المستخدمة في السياسة الدوليه وذكر (ان القوة الناعمه تتأسس على التوظيف السلمي لثلاث مصادرأساسية هي : الثقافة والقيم السياسية والسياسة الخارجيه لتحقيق الأهداف التي تنشدها الدوله). عمدت الصين الى اعادة هيكلة سياستها الخارجيه ثلاث مرات منذ عام 1949، وهو أمر جعلها تقترن بتوجه محدد وجديد في كل مرة (1) التوجه الأيدولوجي: امتد من 1949 الى عام 1960 بالأنحياز المطلق للأتحاد السوفييتي ثم حدث التباين بعد وفاة ستالين في عام 1953 وتبني السوفييت لسياسة التعايش السلمي مع المعسكر الغربي (2) التوجه نحو تبني سياسة العزله الخارجيه النسبيه: كان عدم الانغماس الواسع في التفاعلات الدوليه يرجع لقناعتها بعد نجاح الخطه الخمسيه الأولى وامتلاكها للسلاح النووي انها يمكن تنمية قدراتها الاقتصادية والعسكريه اعتمادا على قدرتها الذاتيه (3) التوجه الواقعي البراجماتي وقد ابتدأ عام 1976: ارتبط ذلك بالمؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني ونقطة التحول في كيفية التعامل الصيني مع العالم (4) اولويات السياسة الخارجية الصينيه: تمت هيكلة السياسة الخارجيه الصينيه لكي تتحدد مؤخرا في هدفين الاول تغليب الأرتقاء الاقتصادي لتحقيق التنمية الشامله. الثاني تغليب سياسة التعاون على سياسة الصراع. (5) السياسة الخارجية الأمريكيه حيال الصين حتى عام 2050 :على الرغم من تناقض المصالح الامريكيه الصينيه الا ان هناك عوامل تجعلها تحت السيطره، وتحول دون تصاعدها منها زيادة العلاقات الاقتصاديه بين البلدين، ثم امتلاك السلاح النووي لكل منهما ،وهو يمثل رادعا لأي مغامره غير محسوبه. (6) المستقبلات البديله للدور العالمي للصين عام 2050 :ان اوضاع مستقبلها الذي يمتد الى عام 2050 سوف يتحدد على ضوء تفاعلات معطيات عواملها الداخليه مع نتائج سياساتها الخارجيه، ولنتذكر ان الصين التي كانت دولة لا تحظى بالقبول الدولي ،استطاعت لاحقا وعبر سلوك قوامه التعاون ان تبني لذاتها مكانة وهيبة دوليه. لذلك نقول انه على ضوء نتائج معطيات الواقع الداخلي والخارجي للصين فاننا نرى ان المشاهد المحتمله والبديله لمستقبلات الدور العالمي للصين في عام 2050 تتحدد بثلاثة منها وكالآتي بالتتابع. أولا: قيادة الصين للنظام الدولي متعدد الأقطاب، وهومطلب اوهدف يرتبط بأربع مثلثات تضم كل مجموعة منها دول توليها الصين حاليا اهمية خاصه، وهي الآتي المثلث الأول ويتكون من مجموعة من الدول ترتبط قوميا بالصين (هونج كونج وماكاو وتايوان وفي هذا المثلث ينصرف الهم الصيني الى تأمين استعادة تايوان «فرموزا» مثلما تم استرجاع هونج كونج وماكاو). المثلث الثاني (المثلث الدولي المتوسط الذي يجمع الصين مع اليابان والهند).

حرص الدكتور مازن ان يذكر في نهاية هذا الكتاب ان يقول ان هذه الدراسة لاتنصرف الى التنبؤ القاطع بما سيكون عليه المستقبل ولكنها تنصرف الى استشراف مستقبلات الدور العالمي للصين في عام 2050 .واستطيع من جانبي ان اقول انني استمتعت للغاية في السباحة الفكريه بين دفتي هذا الكتاب .

ولطبيعة موقعه وحجمه تتطلع الى ان تكون مؤثرة في تفاعلاته.المثلث الثالث الكبير: وهو الذي يجمعها مع الولايات المتحده واليابان، واهميته تكمن في الحاجة المتبادله بين أطرافه.المثلث الرابع: وهو المثلث الدولي الأكبرالذي يجمع الصين وروسيا الاتحاديه وكذلك المانيا الاتحاديه ،واهميته ترجع الى اهمية أطرافه. ثانيا: المشاركه في تشكيل النظام الدولي متعدد الأقطاب : ان قانون الحراك الدولي يؤكد ان هبوط اي قوة دوليه من قمة الهرم الدولي يتقابل دائما مع صعود عوامل تجعلها هذه القمه،وتعد الصين من بين تلك الدول التي يحتمل بدرجة عاليه ان تكون طرفا مشاركا في بناء هيكلية تعدد الأقطاب الدوليه. ثالثا: قيادة عالم الجنوب: وهو ما يعرف لدينا في العالم العربي باسم (العالم الثالث) وقد حرصت الصين منذ مرحلة ماوتسي تونج على عدم التدخل في شؤونه الداخليه ،وان ترتبط به من خلال دعم العلاقات التجاريه التي ارتفعت الى اكثر من 330 مليار عام 2022ـ والصين تعتبر نفسها تنتمي الى ذلك العالم وقد صرح الرئيس الصيني الحالي في معرض حديثه عن العلاقة بين الصين والعرب الى قوله («انهما عضوان في معسكر الدول النامية». ■

الإعلامي والمحاور السياسي عباس زلزلي لـ«الحصاد»:

خطر المشروع الإسرائيلي سيتفاقم إن لم نواجهه بقوانا

رنا خير الدين ـ الرياض

من منطلق اعتقاده وإيمانه بضرورة التصدّي بكافة الوسائل المتاحة والمنابر المفتوحة للمشروع والمخطط الإجرامي الإسرائيلي في المنطقة، يركّز الإعلامي والكاتب عباس زلزلي من خلال واجبه المهني على تسليط الضوء الأحمر بوجه هذا المخطط، وينبّه لضرورة الوعي الكامل لما يحصل أو سيحصل على المدى القريب في العالم العربي.

أثبتت جدارة الإعلامي عباس زلزلي، الحاصل على ماجستير في الإعلام الرقمي، من خلال توظيف جميع إمكانياته منذ بداية الحرب على غزة والجنوب اللبناني لخدمة الكلمة الحق، وإظهار خبث المشروع الإسرائيلي ومحاربته بالكلمة، وبالصوت والصورة. فهو يرفض أنصاف الأمور وتشويهها ويشهد على الوقائع الأخيرة وينقلها بمهنية عالية منعاً للعيش في الظلم وتحت الأنقاض.

«الحصاد» كان لها حديث خاص مع مقدّم البرامج والمحاور السياسي عباس زلزلي استوقفنا خلاله على أبرز المحطات الإعلامية في مسيرته مروراً بواقع الإعلام المحلي والإقليمي اليوم في نقل ما يحدث في فلسطين ولبنان والمنطقة.

● «الحصاد»: أخبرنا عن مسيرتك الإعلاميّة. كيف كانت تجربتك المهنيّة منذ *2005* حتى اليوم؟

○ عباس زلزلي: بدأت العمل في مجال الإعلام عام 2004 في سنتي الجامعيّة الثالثة. كنت أعدّ تقارير لمجلة إماراتية حينها، لكن انطلاقتي الحقيقية والمستمرة كانت في إذاعة "راديو" نهاية العام 2006، وموقع النشرة الإلكتروني. بعدها عملت في عدد من المحطات التلفزيونية كمراسل ثم مذيع للأخبار ومقدم للبرامج السياسية والاقتصادية كتلفزيون لبنان، تلفزيون الجديد، قناة الاتجاه العراقية، قناة البحرينية، ثم في قناة أن بي أن حتى اليوم. إضافة إلى تقديم برامج سياسيّة في وكالة الأنباء والإذاعة الدولية «سبوتنيك».

أكاديمياً، أنا أستاذ محاضر في الإعلام في الجامعة اللبنانية الدولية.

سعيد وفخور بما وصلت إليه اليوم، خصوصاً أنني بدأتُ من الصفر. أتمسّك بمبادئي وأحافظ على الموضوعية، فقول كلمة الحق باهظ الثمن في هذا الوقت لأن القابض على مبادئه كالقابض على الجمر.

● «الحصاد»: بماذا تصف مشهد الإعلام المحلي اليوم؟

○ عباس زلزلي: أصفه بالجنون. من خلال تاريخ لبنان فإنه لم يشهد وضعاً كهذا. تدنّي في مستوى الخطاب بين اللبنانيين وخصوصاً بين النخب الإعلامية التي تعدّ قادة رأي. ففي الوقت الذي يجب على الإعلام أن يكون مهنياً عبر تقريب وجهات النظر. فالإعلام يشارك في عمليات التحريض وإثارة الفتن وتأجيج الخلافات.

مع الإشارة إلى أن ثمّة إعلاميين يحافظون على أخلاقيات المهنة.

● «الحصاد»: تقوم بعدة مهام إعلاميّة، بماذا يختلف الإعداد، عن التقديم وإدارة الحوار؟

○ عباس زلزلي: مَن يقرأ لا يُهزَم" هذا شعاري. لا يمكن أن أكون صحافياً إلا اذا قمت بإعداد حلقاتي وحواراتي أو على الأقل شاركت فيها إن تطلب الأمر انتاجاً ضخماً وفريق عمل. كما أن على مذيع الأخبار أن يقدّم نشرة أخبار بطريقة صحيحة ولديه القدرة على تحرير الأخبار، وعلى المحاور إتقان الأداء التواصليّ والحضور.

● «الحصاد»: أين تجد نفسك، في الإعداد أم برامج الحوار؟

○ عباس زلزلي: أستمتع في الإعداد والتقديم على حدّ سواء. ومن المضحك أن يكون المحاور فقط "مزهريّة" يطرح الأسئلة بدون المشاركة في الحوار. الإعداد والحوار يتطلّبان ثقافة ومهارة وممارسة.

● «الحصاد»: أنت حاصل على ماجستير في الإعلام الرقميّ، كيف توسّعت آفاق هذا المجال في ظل اجتياح عالم التكنولوجيا ومواقع التواصل الاجتماعيّ في حياتنا اليومية؟

○ عباس زلزلي: منصات التواصل الاجتماعي، تنبثق عن الإعلام الرقمي الذي تطورت وسائل اتصاله، لكن لا يعني ذلك أن يمكن حصر الإعلام الرقمي بوسائل التواصل، فهي واحدة من أدوات هذا الإعلام.

الصحافة الرقمية تلتزم في متابعة التقدم والتطور والاعتياد على استخدام التكنولوجيا اللازمة في الإعداد والنشر.

بات الإعلام الرقمي اليوم بمختلف مسمياته ومفاهيمه يلعب دوراً مهماً ورئيسياً في حياة المجتمعات، وقد يكون دوره إيجابياً أو سلبياً حسب الطريقة التي يُستخدم فيها، ومن أهمّ الأدوار التي يقوم بها تبادل المعلومات بين الناس بشكل أسرع، المساعدة في ازدهار الأعمال والنشاطات التجاريّة وذلك بسبب توفير المال والوقت والجهد، تسهيل التفاعل والتواصل الاجتماعيّ بين الناس، وذلك بسبب تذليل العقبات التي قد تظهر بسبب الزمان والمسافات، والسماح للناس بإيصال أصواتهم في الأزمات والقضايا الإنسانيّة العالميّة مثال ذلك كيف ساهم في إعادة الرواية الفلسطينية بوجه الرواية الصهيونية وبذر بذرة التغيير في الرأي العام الدولي.

○ «الحصاد»: بالانتقال إلى المشهد السياسي الإقليمي، كيف تصف ما يحصل؟

○ عباس زلزلي: نحن أمام نظام فاشي عنصري يُدعى «إسرائيل» مدعوم من حلف «انغلوسكسوني» وغربي يمدّه بكلّ ما يلزم لقتل وتدمير وسرقة أي شعب لا يرضخ له. ما يحصل هو كشف حقيقة هذا الكيان الغاصب الذي سرق فلسطين وقتل أهلها، واعتدى على كلّ الدول العربية وسرق مقدراتها، وحلمه في بناء «إسرائيل الكبرى» حتى ولو على جماجم الشعوب.

في هذا السياق الحرب ليست فقط في فلسطين ولبنان، بل هذا الكيان العنصري نقيض الحضارة والرقي والاعتدال والتعايش لن يتوقف عند أي حدود فلسطينية أو لبنانية، أو سورية أو عراقية أو سعودية أو يمنية إلا بالقوة، قوة أصحاب الأرض وتماسك هذه الشعوب.

● «الحصاد»: للبنان، كيف ترى صيف *2024*؟

○ عباس زلزلي: معادلة الردع والخوف من الردّ اللبناني يمنعان العدو الإسرائيلي من اجتياح لبنان، كما كان يفعل سابقاً. من المعروف أن "إسرائيل" قادرة على تدمير لبنان وقتل عشرات الآلاف كما فعلت في غزة، ولكن الصحيح أيضاً أن لبنان بجيشه وشعبه ومقاومته قادر على الردّ والتصدّي لـ«إسرائيل» بشكل مباشر. فإن الصواريخ اللبنانية الدقيقة قادرة على الوصول إلى بنك أهداف دسم داخل الكيان، مطارات ومرافئ ومرافق حيوية وشركات الكهرباء..

وهنا السؤال هل "إسرائيل" جاهزة لمغامرة كهذه؟

● «الحصاد»: أعداد المغتربين تتزايد رغم المشهد المتوتر في الجنوب اللبناني. ماذا تقول في هذا الصدد؟

○ عباس زلزلي: من الخصال الحميدة عند اللبنانيين تعلّقهم بأرضهم وبأهلهم، لذا فإن البلد القائم على الدولار الاغترابي يستمر في إدهاش العالم، وأعني بذلك أن أعداد المغتربين التي تتزايد رغم الحرب. فالمغترب اللبناني يأتي لمساندة أهله مادياً ومعنوياً ولقضاء عطلته الصيفية.

وتجدر الإشارة إلى أن المغتربين ساهموا إلى حدٍّ كبير في صمود هذا البلد حتى اليوم رغم ما عايشه.

● «الحصاد»: ما قراءتك لما يحصل في فلسطين؟ وكيف يكون للإعلامي دور في توجيه البوصلة نحو الحقيقة رغم المزاعم الإسرائيليّة؟

○ عباس زلزلي: ما يحصل في فلسطين هو حرب تصفية الشعب الفلسطيني عبر إبادته او تهجيره لإكمال مخطط الدولة اليهودية الكاملة التي ينادي بها هؤلاء القادة المتطرفين الذين يمسكون الإدارة في «إسرائيل».

مخطئ، مَن يعتقد أن الحرب هي ضد حركة حماس أو أن بنيامين نتنياهو هو من يتحمّل مسؤولية عمليات القتل والإبادة، فالحرب ضدّ أي شيء قد يعيق مشروع توسّع الدولة الإسرائيلية. وفي الحقيقة كلّ أركان مجلس القتل المصغّر

> **ما يحصل في فلسطين هو حرب إبادة وتصفية للشعب الفلسطيني**

يتحمّلون مسؤوليّة القتل من يوآف غالانت إلى بن غفير وسموتريتش وحتى أصغر مستوطن لأن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع حربيّ.

أضف إلى ذلك التقارير التي تتحدث عن شواطئ غزة الغنية بالغاز والبترول كما في حقل "غزة مارين"، والحقل الحدودي البحري الشمالي للقطاع". والسبب الأهم، وراء الحرب، الذي يجب أن يعرفه الجميع هو ممر الهند ـ الشرق الأوسط، الذي سينشئ خطّ مواصلات من الهند إلى أوروبا، يبدأ من دبي مروراً بالسعودية والأردن وصولاً إلى «إسرائيل»، وبالفعل فقد تمّ تدشين هذا الممر البري بين الإمارات و«إسرائيل» بعد أن أغلق الحوثيون في اليمن مضيق باب المندب، وعطّلوا حركة التجارة البحرية من «إسرائيل» وإليها.

وليس مستبعداً أن تقدم «إسرائيل» على تنفيذ مشروع شقّ قناة بن غوريون، بعد إخراجه من الأدراج ونفض الغبار عنه. هذا المشروع في حالة تنفيذه لن تكون «إسرائيل» بحاجة لدول عربية مطبّعة معها.

لذا على كلّ حرّ أن يعي تماماً خطورة الحرب الإعلامية وحرب الرأي العام التي أعادت الرواية الفلسطينية عن الأرض والحقوق لتدحض الرواية الإسرائيلية التي سيّرت الرأي العام العالمي لعقود وما الاحتجاجات والمظاهرات في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول إلا دليل على ذلك.

● «الحصاد»: وسط أشكال الاضطهاد التي تشهدها الإنسانيّة في العالم، هل بمقدرة الإعلامي اليوم أن ينجح في التأثير؟

○ عباس زلزلي: بعيداً عن النظريات العلمية نجد كيف يتم استخدام المؤثرين للترويج لمنتج ما، والمنتج قد يكون فكرة أو توجّه، وهذا ما شهدناه مؤخراً بانقسام الرأي العام الدولي والمؤثرين من كلّ النخب حول حرب الإبادة في فلسطين. والأهم كيف نجح بعض المؤثرين في إعادة الرواية الفلسطينية لتواجه الرواية الإسرائيلية، كما فعل الإعلامي باسم يوسف والسفير الفلسطيني في بريطانيا حسام زملط.

● «الحصاد»: بعيداً عن السياسة أنت تهوى الشعر. أخبرنا عن ذلك.

○ عباس زلزلي: كتبت أول خاطرة وقصيدة نثرية عندما كنت في عمر الرابعة عشرة وقرأت ديوان المتنبي في حرب نيسان على لبنان عام 1996 وكنت حينها بعمر 16 عاماً، وأنا أحب الشعر السياسي والاجتماعي، الغزل، الهجاء بكلّ أنواعه.

يجذبني الشعر الموزون والشعر الحرّ باللهجة العراقية، الفلسطينية، المصرية، السودانية، الخليجية واللبنانية. وأينما وجدت قصاصة ورق مكتوب عليها ولو بيت شعر أقرأه وأؤدّيه. وكما في الإعلام لا يمكن أن تحبّ الشعر من دون أن تكتبه، لذا كتبت قصائد موزونة وحرة كثيرة حتى أني كتبت باللهجة المحكيّة اللبنانية والمصرية والفلسطينية والعراقية.

كتبت شعراً في الحب، العائلة، المجتمع، الوطن، الخيانة، الخير والشرّ، عن الإنسان والحياة وفلسطين وأحاول دوماً الهرب من السياسة وضغوطها عبر الشعر. ■

إبليس والشعراء... بين الصورة والتصوّر

د. حسين رشيد الطائي ـ لندن

من بداية القول إن محور الديانات السماوية دار حول ثلاثة مفاهيم رئيسة شملت الحبَّ والكره والخوف؛ حبَّ الله والخوف من عقابه وكره الشيطان الذي هو إبليس. ولأن إبليس كان ركيزة الامتحان الإلهي الذي ابتلي به البشر، فقد أصبح ضابطة أساسية بين الخير والشر والعقوبة والمثوبة والجنة والنار. ويجب أن نعي أن سقوط الشيطان منشؤه أمر واحد يتلخص بكلمة واحدة هي (الأنا). وان من التضاد منطقيا وصول المخلوق جنّياً كان أم إنسياً لمراتب السمو المرتجاة من الحضرة الالهية مع بقاء نوازع الأنا عنده؛ الأمر الذي يجسد مشكلة إبليس الذي وصل لمراتب العلم العليا والكرامة، حتى عُدَّ في خانة الملائكة. إلا أنَّ (أناه) جرّت عليه الويل والثبور والطرد من الرحمة الالهية. وخير من يصف هذه الحالة الإبليسية عز الدين المقدسي في كتابه (تفليس إبليس) يخاطب فيه الشيطان قائلا: أنت الذي خلقك الله بيد قدرته. وأطلعك على بدائع صنعته. ودعاك إلى حضرة قربته. وألبسك خلع توحيده. وتوّجك بتاج تقديسه وتحميده. وجعلك تجول في مجال ملائكته. يقتبسون من نورك. ويستأنسون بحضورك. ويهتدون بعلمك. ويقتدون بعملك. فما برحت في الملأ الأعلى. تشرب بالكأس الأملى. وتتلذذ بالخطاب الأحلى. طالما كنت للملائكة معلمًا وعلى الكروبين مقدمًا. نعم هكذا كان إبليس في البدء لكن تكبره وأناه أوصلاه لما هو عليه.

ولغويا؛ يتفق ابن فارس في (مقاييس اللغة) والراغب في (المفردات) وابن الهائم في (التبيان)، على أنَّ مفردة إبليس في اللغة اسمٌ عَلَم مُشتَقٌّ من الإبلاس (الإبعادُ من الخيرِ واليأسُ من رحمة الله)؛ إذ ان أصلُ)بلس) يدلُّ عَلَى اليَأس.أما لفظة الشيطان فقد ذهب اللغويون فيها الى رأيين الأول أنها مشتقة من شطن بمعنى بَعُدَ عن الحق من شَطَنَه يشطنه شطنًا إذا خالفه عن وجهته ونيَّته. فيقال شَطَّت الدار اذا بَعُدَت، والشاطن الخبيث وتشيطن الرجل؛ إذا صار كالشيطان وفعل فعله، والثاني أنه مشتق من شاط بمعنى احترق من الغضب؛ فشاط يشيط إذا لفحَته النار فاحترق أو هلك. وهو في حقيقته قريب من وصف القرآن الكريم له. وبالطبع هناك فرق في الاستعمال اللغوي بين مفردتي إبليس والشيطان. فإبليس تُستعمل لمن أبلس أي سكَتَ ويئس من رحمة الله. وهذا ما نجده واضحا في القرآن؛ مثل قوله تعالى ـ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ـ. وقوله (حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ. وكذا في استعمال لفظة الشيطان التي تدلّ على كل من يسلك طريق الشر والشيطنة. قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

وفي حين أن الموروث التصويري الميثولوجي قدّم لنا إبليس على أنه أسود البشرة أحدب الظهر بجسم خنزير وبعينين تقدحان شررا ولهبا يُشم منه رائحة الكبريت وله قرنان وأظافر وحوافر؛ إلّا ان القرآن لم يورد صورة مجسمة لإبليس ولا للشيطان. فتركها مبهمة لأمرين؛ الأول تعدد الصور التي يظهر عليها لإمكانيته تغيير صورته. والثاني أنَّ جانب الأثر في الشخصية أقوى من جانب الصورة. ففي معرض تصوير الشيطان قال تعالى (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ). فتشبيه الطلع برؤوس الشياطين دليل على منتهى القبح من حيث لا يجب حصره في وصف واحد. إذ ان لا أحد من قبل قد رأى رؤوس الشياطين.

ومن نوادر الروايات في هذا الباب ما نقله الجاحظ في أحد كتبه أن امرأة طلبت منه أن يصطحبها إلى دكان أحد الصاغة، فلما وصلت هناك قالت للصائغ مثل هذا، وانصرفت. فسأل الجاحظ الصائغ، ماذا قد عنت المرأة بقولها ذاك، فأجابه بأنها قد طلبت رسم صورة شيطان على فصّ خاتمها، فاصطحبتك لتمثيل صورته. وهذا ما يؤكد بشاعة الصورة التي كان عليها.

ومن بديه القول ان الشيطان في الموروث الاجتماعي والتاريخي كانت له اسماء وكنى؛ فهو عند المصريين (ست) و(ستان). وعند الهنود (راكشاس) و (البيشاش). وعند الفرس (أهرمن). وعند اليونانيين (زيوس). وعند الانجليز (ساتان). بينما أضفى عليه العرب كنى وألقابا منها الحارث والحكم وأبو مرة.

ومن الجدير بالذكر ان الشيطان رمزٌ لا جنس كونه مشتركا ما بين الإنس والجن. فهناك شيطان جنّي وهناك شيطان إنسيّ كما يؤكد القرآن. حيث يقول (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ). وهذا يدل بشكل صريح على أن لفظ الشيطان إنما يوحي الى العمل وصفته لا الى الجنس وصنفه؛ فمن كانت صفته الإفساد والشر والإبعاد عن الهدى فذلك هو الشيطان سواء أكان جنياً أم إنسياً.

لذا، فتصوير الشيطان في الذهنية البشرية إنما ينحصر في عمله ووسائله. ولذلك أخذ هذا الجانب الحيز الأكبر من الاهتمام من قبل المؤرخين والأدباء والشعراء وحتى مفسري القرآن. فاهتموا بعمل الشيطان وتبيين حبائله وشراكه محذرين منها. فأصبحت هذه الوسائل الشيطانية عنوانا للشيطان نفسه. من أجل ذلك؛ اتحدت هذه الصفات والأعمال للصورة الشيطانية في إطار موحد عنوانه الغدر والفساد والإفساد والشر وجميع الرذائل. ومن هنا انطلق الشعراء والأدباء من هذه النقطة بدءا من اتخاذ الشيطان وسيلة للإلهام الشعري حتى اتخاذه قرينا وصاحبا. فكما أصبح للشعراء شياطين يصحبونهم في كل قصيدة. أصبح لكل شاعر عدة شياطين على فصّ الصورة نفسها التي يرى نفسه عليها فيستخرج نوازعه وصراعاته الداخلية الشيطانية على شكل صور وموضوعات؛ فأمسى لكل حالة من الحالات المتصوَّرة في الشعر والأدب شيطان خاص بها يكون بطلها ومركز أحداثها.

وقد أشارت كتب التراث الى أقدم الشياطين المتمردة مثل)بروميثيوس) الذي تمرّد على رب الأرباب (زيوس)؛ ليعلّم أبناء آدم ما أخفاه عنهم متخذا إياهم تلاميذ.

ولقد كانت شياطين الشعراء دائما ما ترمز الى صفة خُلقية أو رذيلة من الرذائل؛ من ذلك (شيطان التكبر والتمرد) الذي رمز له الشاعر الانجليزي ملتون في (الفردوس المفقود) فصوّره بأنه مريد متكبر ثائر.

وقد استغل هذا الرمز الشاعر الايطالي كاردوكي إبان الثورة لإيصال ما يريد من كلام لا يستطيع البوح به صراحة.

أما شيطان الألماني غيتي فكان ساحرا كبيرا عالما بخفايا النفس الانسانية وفق روايته الشهيرة (فاوست)؛ مطلقا عليه اسم (مفستوفليس) (الذي لا يحب النور).

لقد أُتخذ الشيطان منذ بدء الخليقة والى يومنا على أنه رمز أصبح ضابطة رئيسة لكثير من القضايا والأحداث والأفعال التي نعيشها ونتعايشها ونتفاعل معها.

ولا يغيب عن البال ان الكاتب والمفكر الكبير عباس محمود العقاد كان مهتما بالكتابة عن الكائنات العجيبة والغريبة والخفية التي تتوسمها الأساطير والخرافات؛ فعزم على نظم قصيدة عنوانها (سباق الشياطين) وان يؤلف كتابا بعنوان (مذكرات إبليس)؛ إلا انه لم يتمّه واكتفى بفصل واحد منه بسبب الحرب العالمية الأولى. أما القصيدة فكانت خلاصتها أن الشيطان عرض جائزة على شياطينه وجنوده لمن يثبت قدرته على الإغواء والتضليل. فتسابق سبعة من الشياطين لنيل الجائزة؛ شيطان الكبريا وشيطان الحسد وشيطان اليأس وشيطان الندم وشيطان الحب وشيطان الكسل وشيطان الرياء. إلا ان الغريب في القصيدة ان الذي نال الجائزة إنما هو شيطان الرياء.

ولقد أفرد العقاد مساحة لا بأس بها عن أغرب الشياطين الشعرية؛ منها ما ابتدعه الشاعر وليام بليك؛ الذي كان شيطانه يتشكل بين الخير والشر؛ وفق تخيلات الشاعر؛ فربما تجده روحًا إنسانيّة أو ملكًا من الملائكة المغضوب عليهم.

وإن كنا نتحدث عن الشياطين التي صنعها الشعراء لأنفسهم فلا بد أن نذكر شيئا من شيطان الشاعر العباسي أبي نؤاس. فشيطانه أما متكبر أو خبيث أو عالم أو محتال أو ذو جمال وأدب؛ وقد لازم أبا نؤاس في كل حالاته حتى أصبح قرينه؛ فاذا قال أبو نؤاس قال شيطانه.

يقول أبو نؤاس في إحدى رمزيات شيطانه؛ وقد وصفه ذات مرة بالعالم المتبحر في العلم والفتيا والحكمة:

إني قصدتُ إلى فقيهِ عالمٍ
متنسكٍ حبرٍ من الأحبارِ
متعمقٍ في دينه متفقهٍ
متبصرٍ في العلم والأخبار
قلتُ النبيذَ تحلّه فأجاب لا
إلا عقاراً ترتمي بشرار
قلت السماعَ فما علمتَ أجابني
لا تعدلنْ عن ماجنٍ غيّارِ
قلت الصلاة فقال فرضٌ واجبٌ
صل الصلاة وبتْ حليف عقار
أجمع عليك صلاة حولٍ كاملٍ
من فرض ليلٍ فاقضه بنهار
قلت الصيام فقال لي لا تنوه
واشددْ عرى الإفطار بالإفطار
غير ان الشاعر العراقي الكبير جميل صدقي الزهاوي يرى الشيطان بأنه خبيث وماكر ومضلّ سلك به مسالك الخسران والضياع حيث يقول:

أسرفتَ يا إبليسِ في الوسواسِ
فئعوذ منك برب هذا الناسِ
أغويتني من بعد ما استدرجتني
مستحوذاً حتى على أنفاسي
حسنّت في عيني الشرور فجئتها
وضممتُ أرجاساً الى أرجاسِ
ونفذتَ في أعماقِ نفسي فاتحاً
حتى ملكتَ منافذَ الأحساس
فتعاورتني للشكوك وساوسٌ
سودٌ وعافت مجلسي جلّاسي
أفرغتَ قلبي من رضاءِ يقينه
وملأتَ بالشك المبرّحِ راسي
من بعدما جرعّتني مرَّ الأسى
أترعتَ بالمصلِ المخدرِ كاسي
إبليس ما أشركتني في صفقةٍ
إلّا قضيتَ عليَّ بالإفلاس
إبليس أنت وليُّ كلِّ ذوي الهوى
أبليس إنك في الولاية قاسِ
لم يبق مما كان لي قبلا سوى
ثوبٌ كخائبة المنى إدراس
تُلقي العداوة موغرا بين الورى
فتثير أجناساً على أجناس.

بدوره جعل الشاعر محمد إقبال شيطانه متوثبا يريد الإطاحة به والنيل منه معلنا حربه وعداوته عليه وقد اتخذه عدوا مباشرا حيث يقول:

بلّغ إبليس المقيد ما يلي إني أراك بداخلي تتوثبُ
تحت الشباك تثور دون توقف فإلى متى هذا الصراع الدائبُ
بيت التراب ولا أحبّ مقامَه هذا الذي في أسره تتقلبُ
فصباحه ما كان إلا لمحةٌ لمسائه كالصبح منه المغربُ

إلّا ان الشاعر العراقي أحمد مطر يزيل بعض الأقنعة عن شياطين الإنس لأنهم فاقوا إبليس في مكايداته وشروره قائلا:

وجوهكم أقنعة بالغة المرونة
طلاؤها حصافةٌ وقعرها رعونة
صفّقَ إبليس لها مندهشا
وباعكم فنونه
وقال إني راحل ما عاد لي دورٌ هنا
دوري أنا أنتم ستلعبونه.

ومهما يكن فان الشيطان في حقيقته ضعيف في قبال القوة الانسانية الهائلة. لكن العلاقة الحقيقية بين الانسان والشيطان علاقة قوة بضعف فاذا كان الانسان قويا أصبح الشيطان ضعيفا والعكس صحيح. وهذا ما يؤكده القرآن حينما يقول (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) فأجابه رَبُّ العزة بالقول (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ).

من أجل ذلك نرى أن الشيطان صورة للضعف والاستهانة تنطلق من داخلنا وتنتهي الينا؛ فمن جعل نفسه أهلا للضعف سلّمها للشيطان يفعل بها ما أراد. ومن كان يرى نفسه قوية استحال على الشيطان غوايته وضعف عنه.

والحق إننا نحن من نصنع الشيطان ونجعله قويا. علينا أن نتخذ من هذه الرمزية مدخلا للحؤول دون الوقوع في حبائل الشيطان وغروره ومكايداته. ■

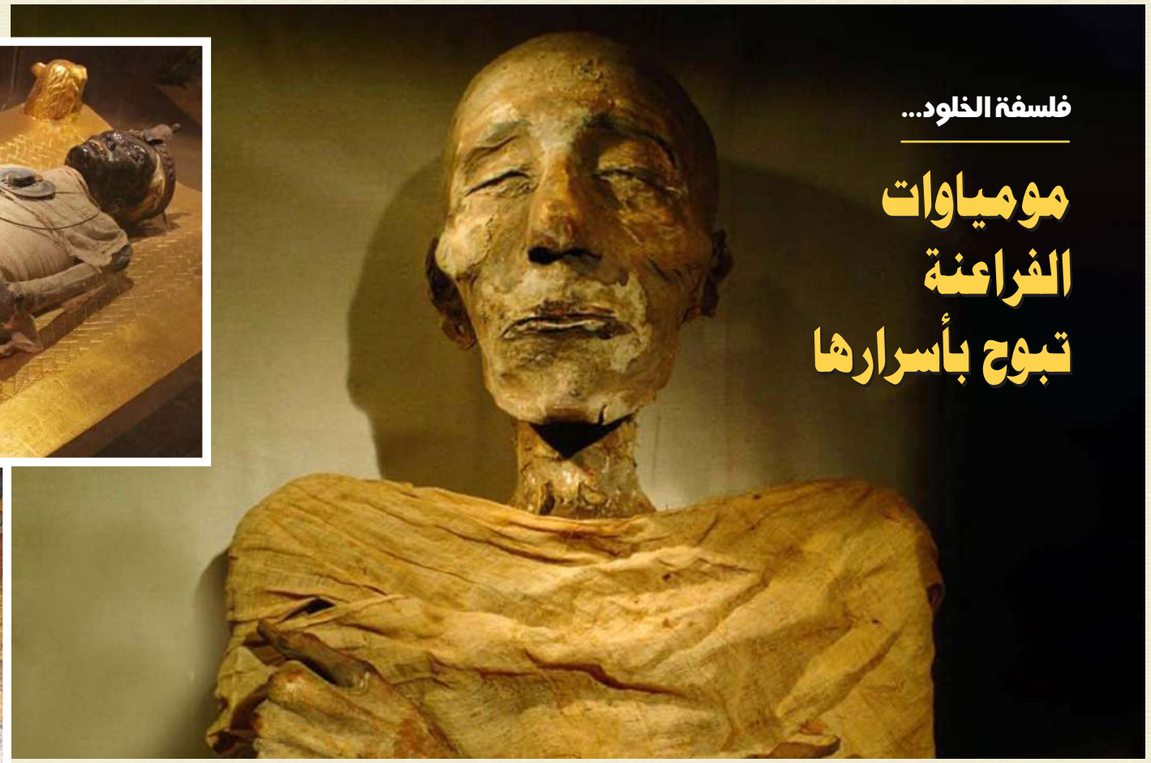

فلسفة الخلود...

مومياوات الفراعنة تبوح بأسرارها

لطيفة حسيب القاضي ـ اليمن

تعدُّ الحضارة المصرية القديمة مهدًا لحضارات العالم. فهي أول حضارة متكاملة في تاريخ البشرية؛ لاشتمالها على كثيرٍ من الفنون والآداب والعلوم. فكلُ ما تركه لنا القدماء المصريون (الفراعنة) يعدُّ إنجازًا ضخمًا.

إنِ التحنيط هو أحد مظاهر التقدم ليدلُ العالم على ما بلغته العلوم المصرية من تطوُّر، وهذا التطوُّر الذي ساعد على حفظ كثيرٍ من الجثث سالمة لآلاف السِنين. الأمر الذي بهر كثيرًا من المؤرخين، والكُتَّاب، والكلاسيكيين مثل: "هيرودوتس، ديودورس الصقلي"، وبهر من جاء بعدهم.

بدأت عملية التحنيط منذ 2600 ق. م في وقت بناء الهرم الأكبر. ومن هنا فمعنى التحنيط هو: الطريقة التي يتم بها الحفاظ على الجسد من التلف باستعمال مواد كيميائية، فيبقى الجسم محافظًا على مظهره، ويبدو كأنه حي. وأما الجسم المعالج، فيسمَّى «المومياء»، ويعود أصل مصطلح التحنيط إلى القرن الرابع عشر تحديدًا، والكلمة مشتقة من كلمة Mummification تلك التي اشتُقَّتْ من كلمة «مومياء»، وما زال البعض يعتقدون خطأً أنها مشتقة من كلمة عربية معتبرين أن الكلمة عربية خالصة. ومن الكلمات التي شاعت أيضًا الكلمة الإغريقية Embabalming تلك التي تعني إغراق الجسد في البلسم، والمصطلح الفرنسي القديم Embausmer ذلك الذي يدل على حفظ الجثث باستخدام التوابل. ويشير مصطلح Balm إلى المادة العطرية المصنوعة من «الرتنجية، والزيوت كالبلسم والتوابل» التي استخدمها الفراعنة في تحنيط جثثهم.

فلسفة الموت والخلود عند القدماء المصريين

أراد المصريون أن يصبح مصيرهم مثل الإله أوزوريس. ذلك الإله الذي كان أول شخصية تحنط في ذاكرة المصريين؛ لأن فلسفة التحنيط هي الحفاظ على الجسد من أجل عودة الروح إليه. لقد اعتبر القدماء المصريون أن هناك نوعين من الموت: الموت الأول، والموت الثاني.

أما الموت الأول من وجهة نظرهم: فهو مفارقة الروح البدن، والدخول إلى عالمٍ غامض؛ ولكنه ليس نهاية الحياة. إنها مرحلة انتقالية لحياة أخرى. أما الموت الثاني: فيعني تحليل الجسد وفساده؛ لأنهم اعتقدوا أن الجسد والروح عند الموت يفترقان، ثم ترجع الروح إلى الجسد مرة أخرى يوم الدفن، وفي النهاية تبقى الروح خالدةً مخلَّدةً في السماء والجسد على الأرض. واعتبروا أن عملية التحنيط تساعد في إيقاف عوامل فناء المادة، ومساعدة جوهر الحياة في المستقر السماوي.

شكَّلتْ فكرة الخلود أساس الديانات المصرية وجوهرها؛ فأرادوا الخلود وعمدوا إلى الوصول إليه بقلبٍ مبرأٍ وجسدٍ سليم. ومن هذا المنطلَق عشِق المصري القديم الحياة الدنيا، وسعى وعمل من أجل الأبدية الخالدة. يقول "هيرودوت" المؤرخ اليوناني: إن قدماء المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس"، وورد في النصوص المنقوشة على الأهرام التي يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى: «إن النفس الخالدة لا تموت أبدًا». وإن فلسفة الخلود، وحياة ما بعد الموت هذا الفكر العقائدي كان من طقوسهم الدينية، وبالتالي كان حفظ الفراعنة لأجساد موتاهم لكي تكون مستقرًا أبديًا.

كانت فكرة الخلود عند المصرين القدماء بمعناها الحقيقي تقتصر على فرعون وحده؛ لأنه ابن الشمس الخالدة التي لا تموت، وكما تذهب الشمس لتستريح كل ليلة، وتعاود ولادتها كل صباح. أما عامة الشعب فكان مأواهم الأرض؛ لأنهم لا يملكون الطبيعة الإلهية الخالدة؛ فارتبطت فكرة التحنيط وحياة ما بعد الموت ارتباطًا وثيقًا بالملكية، وإن الملك وحده صاحب الحق في التحنيط والدفن وحياة القبر، أو حياة عالم الأموات. اعتقد المصريون القدماء أن الميت في قبره يأكل ويشرب، وأنه بين حاشية الشمس. في الوقت نفسه ظن البعض أن الميت يعيش بين نجوم السماء. والبعض الآخر ظنوا أن الميت يجلس على الأشجار بين الطيور.. وآخرون ظنوا أنه يظل فوق الأرض، حيث تستقر عظامه.

كيف كان يحنط المصريون القدماء موتاهم؟

كان المصريون يأخذون الجسد، ويذهبون به إلى ورشة التحنيط، فكانت تسمَّى (ببيت الطهارة)؛ فيقومون هناك بأداء خطوات التحنيط . وقد اختلف الباحثون في عدد الخطوات. فبعضهم ذكر أنها ثلاث عشرة خطوة، والبعض الآخر أكد أنها أقل من ذلك، ثم يبدأ المحنِّطون بخطوات الغسل والتطهير عن طريق تنظيف الجسد من الأوساخ، ووضعه في حوض الغسل. ويغسل بالماء و"ملح النطرون"؛ وبعدها يتم إزالة الأعضاء الداخلية للجثة بواسطة عمل شقٍّ صغير في الجانب الأيسر من الجسم، ويتم إزالة الرئتين، والأمعاء، والكبد. بينما يترك القلب في الجسد حيث كان الاعتقاد بأنه مركز الذكاء، وسيكون هناك حاجة إليه في الحياة الآخرة. وبعد ذلك يتم تفريغ الدماغ بإدخال آلة حادَّة من أدوات التحنيط من خلال فتحة الأنف، ويتم تفريغ الدماغ من خلال الأنف، ثم تترك الجثة حتى تجفَّ، ويكون الجسم بكامله مدفونًا بملح النطرون الذي يعمل على امتصاص أي رطوبة في الجسم، ثم يترك لمدة 40 يومًا حتى يجفَّ، وبعد أن يجفَّ الجسم يتم غسله بماء النيل، وتغطيته بالزيوت لمساعدة الجسم من البقاء مرنًا، وبعد ذلك يُحْشَى الجسم بنشارة الخشب، والكتان ليكون شكل الجسم وكأنه نابضٌ بالحياة، ثم يُلَفَّ الجسم بعد الانتهاء من التحنيط بطريقة معينة بدءًا بالرأس والرقبة، ثم أصابع اليدين والقدمين، ثم الذراعين والساقين، ويستخدم سائل "الراتنج " كغراء، وأثناء هذه الطقوس كان الكهنة يرتلون الصلوات وإشعال البخور، ودهان الجسم بمواد خاصة، ولفِّه باللفائف؛ فكانت تلك الطقوس تستمر قرابة سبعين يومًا على حسب اعتقاد الباحثين؛ لكي ينتقل الميت من أهل الأرض إلى أهل السماء.

وبطبيعة الحال، فإن طرق التحنيط الجيدة ظلت حكرًا على الملوك والأمراء والأغنياء، أما معظم سكان مصر، فلم تحنط جثثهم بهذه الطريقة بسبب ارتفاع تكاليفها؛ لذلك كانت توجد طريقة ثالثة للتحنيط رخيصة الثمن خاصة بالناس العاديين، وإن هذه التقنية الأخيرة لم تحافظ على سلامة جثث الموتى فترة طويلة.

تطور التحنيط في أواخر القرن الحادي عشر ق.م في عهد الأسرة 21 وكان في أروع صوره في الدولة الحديثة. وتعدُّ الأسرة الحادية والعشرون أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد من أهم عصور الحضارة المصرية القديمة في مجال حفظ وتحنيط الأجساد؛ لأن التحنيط في ذلك العصر لم تعد مقتصرةً على التجفيف والدهون، ولفائف الكتان، بل أضاف إليها المحنطون خطوات جديدة لم تكن موجودة من قبل مثل تحنيط: جسد تحتمس الأول وأمنحتب الثاني، وسيتي الأول، ورمسيس الثاني. وهذه أروع الأمثلة على إتقان المصري القديم للتحنيط، واحتفاظ الجسم بأنسجته. ففي ذلك العصر ظهر "كهنة طيبة" الذين غلب عليهم طموح الملكية فاغتصبوا ألقاب الملوك، وانتشر السحر والسحرة، وانتشرت سرقة المقابر من أجل البحث عن الكنوز المخبئة.

استخدم المحنِّطون أدوات خاصة مثل: فرشاة التحَنيط المصنوعة من سعف النخيل طولها 10سم، والإزميل لكسر عظمة الأنف، والمعلقة لاستخراج المخ، والمشرط لقطع البطن، واستخراج الأحشاء منه. والملقاط، والمخزاز، والإبرة لإعادة خياطة فتحة البطن، ومقص برونزي، سباتيولا من البرونز. حيث كانت أغلب الأدوات مصنوعة من البرونز.

استخدم المحنِّطون في عملية التحنيط مواد مستوردة ومحلية طبقًا للطبقة التي ينتمي إليها المتوفَّى.. ومن أهم مواد التحنيط: الماء الذي استخدمه المحنط كمادة تطهير لإزالة الأوساخ المتعلقة بالجسد. وملح النطرون الذي يساعد على تجفيف الجثة، وهو مخلوط ملحي يتكون من كلوريد وسلفات الصوديوم لسحب الماء من الجسم. والقار الذي يساعد على الحفاظ على الجسم من التحليل والتفسخ، وكان يؤتى بها من بلاد فلسطين والبحر الميت. والحناء التي تستعمل كمادة حافظة وخضابٍ للأيدي والأرجل والشعر باللونٍ الأحمر لبعض المومياوات. وخيار شنبر وهو نوع من أنواع البهارات تستخدم كمادة مجففة. وشمع النحل الذي تُغطَّى به العينان والأنف والفم ولصق الجرح. والنباتات مثل: البصل للحفاظ على الجثة من التعفن. وزيت خشب الأرز الذي يستخدم كمادة تحقن داخل جوف الجثة من أجل تجفيفها.

كانت كل هذه المواد توضع فوق الجثة، وبداخلها منذ عصر الأسرة الثالثة عشر، كما استُخْدِمَ نبيذ البلح، وبعض الأزهار والخضروات بقصد تعطير الجثة.

أسرار التحنيط

لقد كان التحنيط سرًا من الأسرار التي احتفظ بها القائمون على التحنيط، ولم يبوحوا بأسرار تلك المهنة إلَّا إلى المقرَّبين منهم. غير أن الباحثين قد تمكنوا من التعرف على معظم أسرارها، من خلال المعلومات التي تركت في سجلات الكُتَّاب والمؤرخين، الذين زاروا مصر في أواخر عهود ازدهارها، ودوَّنوا ما شاهدوا وسمعوا عن التحنيط، وبالإضافة إلى الاطلاع على المومياوات المحنطة وتحليلها كيميائيًا مع ما عثروا عليه في القبور من خلال بعض الأدوات والعقاقير التي كانت تُسْتَخدم في التحنيط.

تمكنت باحثة دنماركية في «جامعة كوبنهاغن» من كشف تفاصيل إحدى البرديات، تلك التي يعود تاريخها إلى 3500 سنه، حيث ترجع إلى عام 1450 ق.م وهي دليل يكشف أسرار عملية التحنيط، وكان طول البردية يصل إلى 6 أمتار.

لعنة المومياء

لقد أثارت كلمة مومياء في النفس الغموض، وعبور الواقع إلى ما وراء الخيال، فالبسطاء ينظرون إلى الكلمة على أنها جسد ميت قديم تتلبسه الأرواح الشريرة، وتجلب النحس والتشاؤم لكلّ مَنْ يلمسها، أو يقترب منها وزرع هذه الفكرة في أذهان وخيالات كل من الروائيين والسينمائيين. فظهرت الحوادث التي ترتبط بهذا الموضوع في عام 1699م عندما اشترى تاجر آثار مومياء مصرية، وحملها معه في باخرة إلى أوروبا وفي عرض البحر هَبَّتْ عاصفةٌ شديدةٌ، فانقلبت الباخرة، وغرق أغلب من فيها فظن التاجر أن سبب الحادث هو المومياء المصرية التي استدعت الأرواح الشريرة لتقلب الباخرة، فقرر التاجر إلقاء المومياء في البحر.

ومن أهم الأسباب التي أسهمت في انتشار فكرة اللعنة عن المومياء الأفلام السينمائية التي جعلت من المومياوات أبطالًا تحييهم من توابيتهم؛ كي ينتقموا من الأحياء، وأصبحت هذه المومياوات حقلٌ خصبٌ لأفلام الرعب والخوف في هوليود. وكل هذا بسبب سوء فهم النصوص المصرية القديمة، حيث كانت هناك كتابات موجودة على أوجه المقابر تهدد كل من يلمس المقبرة بسوء، وكان الهدف الرئيسي من هذه النصوص هو حماية المقبرة من المعتدين. ■

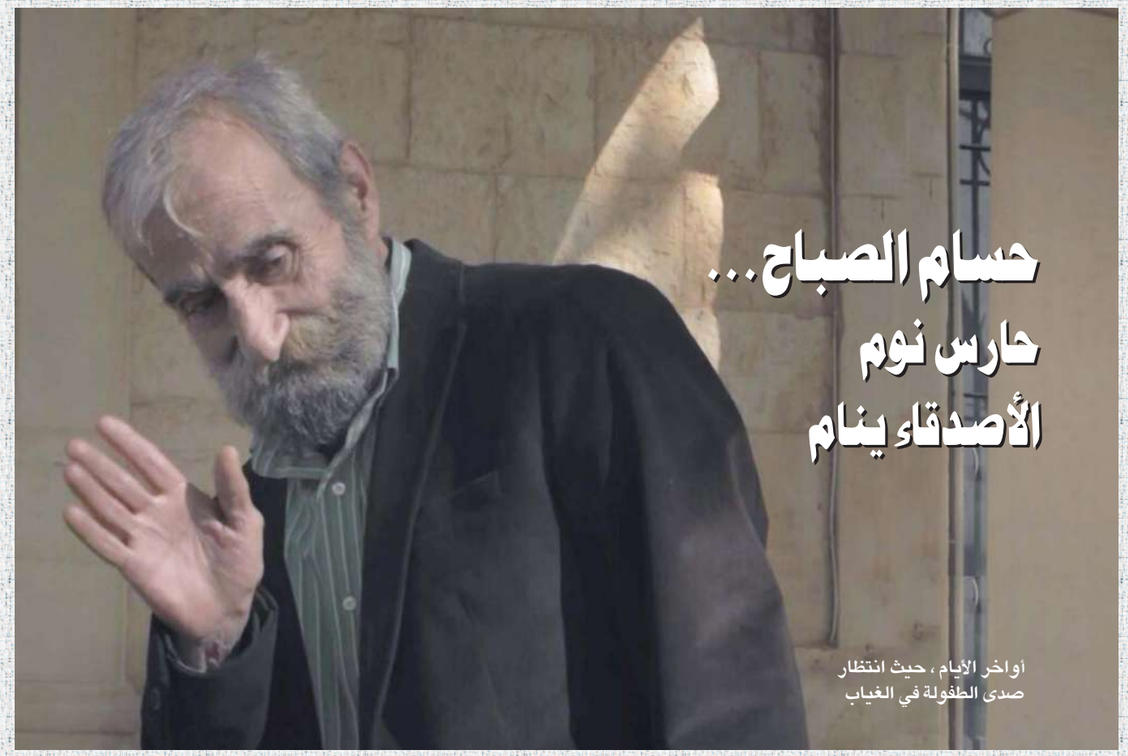

حسام الصباح... حارس نوم الأصدقاء ينام

أواخر الأيام، حيث انتظار صدى الطفولة في الغياب

عبيدو باشا - بيروت

عند كل منعطف له خيمة . الآن عنده مقبرة، عنده كهف يرمي الآخرين بالورد من داخله . هذا حسام الصباح . دمعة تخرج من بهوها. لم تخرج الدمعة إلى لهوها . هذا دمع أولاد الجنوب .دمعة ، حصاة من ماء.ملاكٌ يمحو نفسه كلما سبح على الهواء و امتد.كلما امتدت الدمعة شفَّت واختفت . كلما امتدت ضاقت غاباتها. معادلة لا ريب فيها حسام كالدمعة، على الرغم من تشكك ملامحه بين الولادة والحفر. مولودٌ، محفور الملامح منذ الولادة. حفرٌ لا يخفي أن الجلد خفاء وأن النبض لا يحدث تحت الثلج وحده .وجهٌ قديم ، عقلٌ حديث يمس الريح كلما تفكر صاحبه بقصة ، بقضية تساقط نثرها من جنوى أو بلاد ما بين النهرين.

لا علاقة لعقله بكل أنواع وأصناف الخبل على الرغم من أنه لا يحدث صوتاً من وزنه ، ومن ما يزنه من وزنه حين يزن الأشياء والأدوات والخيل والنجم والنصائح من الأفواه البكماء. وجه متماسك. وجه لا يدور، كالوجوه الدوارة وجهٌ واضح بذقن محلوقة، راحت المدينة تخفيه بذقن طارئة، كثيفة ، تغري بالتماوت ، كلما أقام بالمدينة أكثر. لا يمتلك وجهاً دواراً، لأنه لا يخرج مواقفه واعماله من بيض الديك. لا روايات فاسدة بحياة هذا الرجل. لا روايات ينتابها الدوار ، لأن رواياته كوجهه ، وجهها لا دوار . وجه داخل الليل في الليل من كثرة الأسرار ، من كثرة الإشارات ، من الأفعال الطارئة المتسللة من تحت أبواب العيون . لم يحدث أن ألقى بالتبعات على أحد وهو يكبو إذا كبا. عنده الكلمات حسبان الكلمات، لا إطلاقها بأجسادها الطويلة.

هكذا مر إلى معهد الفنون ، مر بقوة العقل ، من وجد سنابله بالكتب . هذا الرجل يقرأ بعنين خضراوين وهو يقف على دولاب من ورق . لم يحدق بأحد كما حدق بماء البحر من شرفة الصف بمنطقة الروشة ، حين وجد طلاب الفنون هناك ، تحت شمس الحرب الاهلية. لقاء أول بكلية التربية بمنطقة الأونيسكو ، حيث توجب على طلاب معهد الفنون أن يتواجدوا هناك ، لأنهم لم يمتلكوا مبناهم الخاص الإبعد أشهر. ضحكة واحدة ، عميقة كقبره ، ضحكة واحدة كفت ليصبح الزملاء أصدقاء، ثم رفاق. رفاق ، ما حاولوا سوى الذهاب إلى الغد. لا أي غد. غد يصنع بالإنشغالات الفكرية حين سقط الجميع بلوائح الأحزاب اليسارية، لا بطيور الهلاك ولا بسواري النزق الطائفي . وجد حسام الصباح على كبد منظمة العمل الشيوعي. وجد على حطام البلاد ،وهويلملم كسور البلاد، من فوق الرؤوس. لم يمت الرجل منذ أيام ، مات منذ سنوات، حين ومضت تلك الرصاصات الحارقة الخارقة المتفجرة في جسده. أطلق الرصاص رجال من تنظيم أراد امتلاك رأس البحر في بلاد الأبيض المتوسط بقوة السلاح والسياسات ذات الأفق الضيق . وحين أصابه الرصاص ظن هؤلاء أن الرجل بالطريق إلى النوم على الريح.

انثقب جسده كما يثقب الدود تفاحة، غير أنه اختفى خلف النعاس لكي لا ينام . مذاك لم يبق في رأسه سوى فكرة، عنده الأفكار كالبشر تولد وتموت، فكرة إخراج الأفكار من السلال ضد أطياف الرصاص المنطلق من الفوهات الساخنة إلى جسده الساخن النحيل ، بالطريق إلى الإنغراز العميق بلحمه الفتي . اندلق جسده كما يندلق الرمل بالساعة الرملية . لم يستمسك بروائح العشرة فيه .حين وجد بالجسد نجمة قطبية لاتبتعد إلا لتقترب ، إذا امتلكت هديل الروح . لم يخيم الثلج على روحه ، لا لأنها نضجت ، لأنها روح ضد العواء ضد الظلام . لم يرو ما حدث أمام أحد . روى رفاق ما اختفى وراء أكمة هذا الرجل النحيل، الصامت، ذي الرأس الأعلى من ياقة قميصه . كأنه لم يحفل بما حدث لأنه لم يرد أن ينبري إلى الرواية سدى. ذلك أن الرواية عنده شروق متجدد، ألف ذراع ترفع خيمة الحرب على رواية الحرب ضد الأشكال السائدة والألوان البائدة، حرب على شيوخ البلاد ونوقها وجروفها وحروفها. سقط الرفاق على الرفاق بدون موعد وبدون حجز . سقطوا بدون اهتداء ، لأن ما قادهم إلى بعضهم تلألأ العقد الناري للماركسية اللبنانية . هكذا وجدنا كرفيقين بعيداً من الحلقات وهيئات القطاع . وجدا بالغريزة ، على الغريزة الطويلة، على جبهة البلاد العريضة . لم يحط أحدٌ على البلاد كما يحط حمار على حقل حنطة. هو بالجنوب والآخر ببيروت.كل يشاكس على طريقته. ولا يلتقيان سوى على رقص تانغو الحرية بعد أن انسد الهواء بالترنح إذ تكرر بدون تكرير بذوره الحديدية ، ما لم ينضج إلا في مناقير غربان سلطة الطوائف، الخافقة بالكاد كحفارة تُصلِّع جبلاً يموت قلبه كلما خفق قلب الحفارة.

ضحكة واحدة، ضحكة ضيقة ، عميقة، جمعت ما ضاع من نهارات وليالي على أسمنت الحرب الأهلية، بعد أن لوحظ وهو يقدم أوراق اعتماده بالمعهد، وهو يقود نفسه بحيطه الرفيع إلى الأصوات العالية في ما واره المبنى خلف الأبواب باحتراف سبق الإحتراف. لعله الأكثر تواضعاً بين رفاق الصف. لأنه كبيرهم. حسام الأكبر بالسنة التحضيرية بمعهد الفنون/ الفرع الأول. عشر سنوات بين الرفيقين ، لأنه تأخر على الطريق وهو قادم من اقاصي سماء الجنوب . جاء إلى بيروت بمنتصف سبعينيات القرن العشرين كقروي لا صلة له بحقول الدخان . فتيٌ قشر هشاشته بالمنظمة ، حيث حجز له الموت مطرحاً بعد أن خانه بواقعة الموت الأول . لم يمت وهو بالعشرينات من عمره ، بعد أن صحا دمه على غفوته ، أو موته ما أوتي به ليرفرف وحسام بالأعالي، قبل أن يصاب بالذهول حين لم يجد ملاذاً بروح من بقي ينتظر الشوك لاستقباله ، كما ينتظر الزجاج جماجم ضحاياه.

مات حسام في الثالثة والسبعين ، بعد أن بدا الاكثر بعداً من الموت. لم يحسب أحد لموته . هو نفسه ، لم يحسب لموته. جاءه الموت وهو يكتب ما تذكره على مدى السنوات الماضية بلحظة . موته أول اليقظة . لأنه حين أدرك أن السيارة تسبح بالهواء وضع نظارتيه الشمسيتين على عينيه لكي يرى يقظة الروح ، أول اليقظة عند آخر الغياب . لا كسائح يهوى الشمس وتهواه ، بوضع النظارة الشمسية كعلامة على الهوى هذا . جلادُ نفس ، يلقي الذخيرة الحية يراقصها بين أصابعه ، ثم يتركها تتراكض في كل صوب . هكذا ، ظلت قامته تتراقص بالفجاج كما لو أنه يقرع الصنوج لا كما لو أنه يطارد أرنباً. طارد الجميع الأرانب . وحين لم يجد أرنبه لم يسأل لم لا يجد أرنباً يطارده ولم يسأل ما العمل. لأن سؤالاً من هذا النوع جرى طرحه على قامته مذ وجد جرح الجنوب غائراً بفضاء العالم . ومنذ وجد أن الرصاص لا يطلق من أجل فلسطين بل على أفق البلاد لتحول إلى مقبرة أو صحراء وهي تشيع شهداء الحروب الاهلية الصغرى بالحرب الأهلية الكبرى . أو يرشق كما ترشق الخواطر بعد الإحتفال بزيارة زعيم غرفة سنترال تم رفعها على وتد لا على فكرة .

عصي على السهولة في معهد الفنون ، عصي على السهولة في تجارب راقصها كما تراقص الفواكه الأغصان . لا هدنة على أرض الفنون الحمراء . ثمة حكمة لم يعزها سواه وهو يداخل على الصعيدين النظري والعملي في تجارب، حين وجد فيها انوجدت. وحين اختفى منها اختفت كما لو أنها قارورة راحت الأمواج تتقاذفها شرقاً وغرباً على أمل أن تصل بعد ألف عام إلى واحد من شواطئ النجاة على شواطئ العالم . لم يجزم إلا حين تطلب الأمر الجزم ، لم يحزم ، لم يتهيأ، لم يقم ، لم يرحل ، لم يخرج من رحم نار هذه التجربة أو تلك ، إلا كما يخرج المحيط إلى المحيط .هكذا ، لم يتهافت على الإنضمام إلى كتيبة الجن في فرقة الحكواتي اللبنانية توفر الأمر له ، إلا أنه لم يمد يداً إليها من وفرة الأيدي . وحين التقطت الفرقة مسرحياتها من «بالعبر والإبر» إلى «من حكايات ٦٣ » و«أيام الخيام» بقي روجيه عساف يلتقطه من جنبات التجارب الأخرى وهو يراه لا على اهبة الدخول في الحكواتي على أهبة الدخول في نقاشات الفرقة وأحوالها وأعمالها كلسان حلزون طويل سريع ، ينزلق كما ينزلق الرمح بالهواء . لأنه وجد في قدمه، في التقاطاته، في خبرته ، في سلوكه الأصم عن سماع الآخرين، حكيم حكماء شخصيات جلال الدين العطار في «منطق الطير». هذا من عمق هذا الرجل من امتلك العقل والعين والأذن ، من دولاب الحياة الدوارة فوق الخراب ، في القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين .

إنه رجل التباشير عند الجميع . لا يقرع ولا يدخل . وإذا استدعي تردد . ثم يحضر كما لو أنه يسير بجواربه لا بحذائه ، لكي لا يطير الحذاء به. خفيف متواضع ، لم تسقط تباشيره من جيوبه ولا من لوائحه ، إذ تركها كالسنابل على صفحات التجارب ، كما لو أنه يشعل سيجارة محلية بعود ثقاب ، معدني الصوت .

لم يشتغل بالحكواتي، ليظهر كأحد أسباب اخضرارها . هكذا ، اخرجه روجيه عساف من ماء الآخرين بملعقته الفاضلة ، حين وضعه على حواجزه مردداً مطالع أجمل الأغنيات على أطروحة تخرجه. تسلق حسام شكسبير ، حين تسلق رجال الحكواتي ونساؤها ما احتسته التجربة من حكايات وما اخرجته من وراء أبواب المناهج ، كما لو أنه سمك عابس وجب إلصاق الضحكات في فمه. تركه عساف على صخور الطيقان وهو يتسلى بمتونه ومنونه حين راح الحكواتيون يهدون الهياكل على شكسبير وبريشت وبيراندييللو وبيكت وكل فلاسفة المسرح الآخرين.

تم تكسير صخورهم لكي تشع عين الجنرال روجيه عساف بفتكها المألوف للأشكال القديمة والأشكال المتربعة على عروش ظلالها . تمت إعادة بريشت إلى لحده ، بعد أن جرى محو تغريبه بصالح تدثر السهرة الشعبية . وبعد أن جرى محو راويه بصالح راوي السهرات الشعبية ، من يخرج من بلورة السهرة بنفسه وبالتفاف الساهرين حول الراوي المؤدي والمنشد والراقص والمعلق والمسامر (ما أوجده رفيق علي أحمد في مونودراماته) وهو يمسك بنواحي السهرة ليقودها إلى اكتمال لوحتها في تضافر واندغام الراوي والجمهور والجدران والغبار ووقدة الشتاء أو نفحة هواء الصيف والرواية ، وهم يهتدون إلى بعضهم بالنوايا والرغبات والعواطف المحجورة ، حيث يقف الجميع على مركب واحد، يومئون بشطحات المجاذيف . لا ضلال بعد الآن. لا ضلال ، لأن العلاقة النشوانة بين الراوي والجمهور ، هي العلم الأول على منصة المسرحية، الحرة لا المؤلمة . ذلك أن «الحكواتي» قفز من ألم المسرح إلى حريته بالأرواح العائدة للتو من الخفقان المستمر إثر تقديم العرض لا انتهائه برمي القبعات بالهواء جبهة واحدة لا جبهات. لم يساهم الصباح في هذه التجربة المتلالئة . وجد، على الرغم من ذلك ، في حسابات امبراطورها وأركانه ومن بالكاد تبين له أو لاحظ أن لا عودة إلى الوراء مع الحكواتي. لا شيء سوى إسكات عواء الحناجر القديمة بالزمن الحديث ، حيث راحت بيروت تقترب من اكتمالها كمدينة استثنائية لكي تنفجر وتعيد بناء نفسها من خرابها. لأنها اعتادت الأمر. لا تكتمل إلا لتنفجر .

بقي حسام الصباح في عين الذئب، العين عيون والذئب ذئاب. كما بقي بعين المدينة، العين عيون والمدينة واحدة . كل يريد اصطياده وهو لا يريد السقوط من شجرته، عن شجرته، ليقع فيما حرمه على نفسه ، حين طار في أجواء النبطية متولعاً بالفنون لا متفرجاً عليها، ليفرح بروّاه ، لا ليمضغ أكتاف الأعمال المسرحية ذات السمات الطالعة من ركب الأجداد . يكفي أن يحضر بالفكرة بفكرة ، لكي ترقص المواسم كما ترقص النساء مع رجالها العاشقين . كأنه لم ينبهر بشيء ، حين راحت التجارب تغرسه في رؤوسها . لا علاقة للأفلام البوليسية بما جرى للصباح ، سوى حين مرغه الرصاص بالموت الأول، ليصعد على صدره ، محيراً حكاياته، حاجزاً تذكرة النجاة على قطار الحياة . الأخيرة ليست رخيصة كريشة متروكة على منصات الإستعراض. بالحكواتي إذن حين سحبه أفقها من كم قميصه بحيث بقي بعيداً من فرنها السخي بعد أن والت حكاياتها بغبطة لا تروى لأن أحداً لم يقدر على روايتها بعد. لم يحضر بالمسرحيات الثلاث. كل مسرحية بلسعة خاصة. بعدها رسمت المسرحيات مسارها ، بعدها رسمت المسرحيات مساراً من نقله الآخرون وهم في عز الخوف منه. لأنه أدان مقر إقامات المسرح القديمة بشراسة جمالية،وجدت تجلياتها في «أيام الخيام» مسرحية ما أن تذهب حتى تعود بحياتها المجبولة بالماء والهواء. ماء بعمق ماء البحر وعذوبة ماء

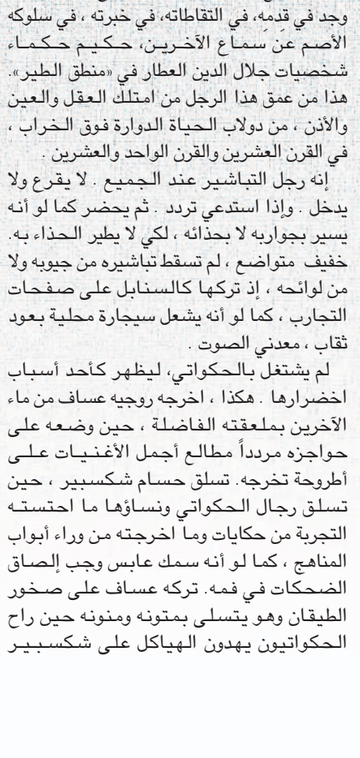

حسان الصباح.. الولادة من عليقة النضوج

الأنهر وشفافية ماء الجداول . أحب الناس عودتها لأنها هزت رياحهم، بعد أن هزت رياح الأرض حين «خانت» البياض القديم والدكنة القديمة وسجادات النرد المفروشة على منصات المشرق والمغرب العربيين .

بعد الحكواتي، جاء يعقوب الشدراوي ، واحد من أيقونات المسرح . راح الأخير يصنع ملحمته بطهو البط الملكي . وإذ بحث عن ريشه الذهبي ، وجد ريشة من الريش المفقودة لحسام الصباح . ذلك أن عصافيره من غابة الجامعة اللبنانية / معهد الفنون ، من لحمها وشحمها وشحنها تجاربه والتجارب الأخرى بالهبوب الدائم . لم يتردد حين تشبث ببعض الأسماء . حسام الصباح أحدها. لا ضرورة للتذكير بأنها الحرب الأهلية وملوك الحرب وعادات الحرب وعين الحرب الحمراء وقنوات الحرب ، حيث حفرت الحرب قنواتها من انسكاب حياتها الجديدة بكل الأركان . "نعيمة" واحدة من أصخب مسرحيات الشدراوي. عشرات الممثلين في طريقه الجديد بعد «سمكة السلور» و«أعرب ما بلي».

لا بشر سوى ثلاثة لا يشعرون بالأمان سوى بالمسرح ،وسط الخوف والموت والخراب وقطرات الدم المجمدة على الطرقات . هناك جن الهواء كلما جنوا عليه بوحدته الهادرة ، الثقيلة . بلا خوف من الشوارع، بلا خوف من البشر . حسام ورفيق علي أحمد وعبيدو ، اختاروا أن ينافسوا أنفسهم حتى النهاية ، كعادتهم بعتمات الهواء والحروف . لم يقولوا عم صباحاً أيها القرار أو عم مساء أيها القرار وهم يزركون هوياتهم أو يزرعونها بحجارة أعمدة الرينغ. الهويات أسفل الجسر ، خفيفة بالهواء الثقيل وبأصوات القنص الكفيفة من بنادق تجيد الهدم والصيد. تمنح كما تمنح القبل ، ليصبح أصحابها غامضي الرحلات والعناوين والإنتماءات . نظرة أخيرة عليها ، نظرة أخيرة على بطاقات نقابة ممثلي المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون، قبل أن ندخل كالصوت في مجالات المنطقة الأخرى . ثم نعود إليها ، بعد أن نعوزها برحلة العودة ، لكي لا يصاب المسلحون على الحواجز بالغفلة إذا ما وجدونا وقد طوينا صفحاتها خارج خيامنا بلا عودة. دوران حول قرن الثور ، ثم عودة إلى طي صفحة الحذر بفتح الحقائب القديمة من جديد . عودة كعودة البحارة من فجر أحمر . اذا وجدت الفجر أحمر ، لا بد من الحذر . لأن العاصفة الهوجاء القريبة لن تعود خالية الوفاض. البحارة لا يعرفون الرعب إلا بأقل حدوده .لم نعرف لم استلقينا على ظهر الحوت كجن يترك دمه تحت المجهر . باللب ، لم نستمتع بالتمارين على «نعيمة» ، من وجود مركز للنمور الأحرار في مواجهة دار اجتمع فيها الممثلون والممثلات في مجازات الليالي لكي يدوزنوا العرض الباهر . لم أعد أذكر، مؤسسة أو دير أو مركز حركة اجتماعية .

لم نطل قبلة الوداع . بقي رفيق وحده هناك ، بعد أن عدت وحسام ذات ليلة ، بلا دليل، وسط الدخان وما أدركه لهيب الحرائق . لم أعد إلى الشدراوي إلا في «نزهة ريفية غير مرخص بها» حين عاد حسام إلى «جبران والقاعدة». مذاك اعتبره الشدراوي من رشفات نبيذه. بحيث ما ضيع حسام علامة من علاماته مع المعلم ، وهو يظهر كالشهقات في

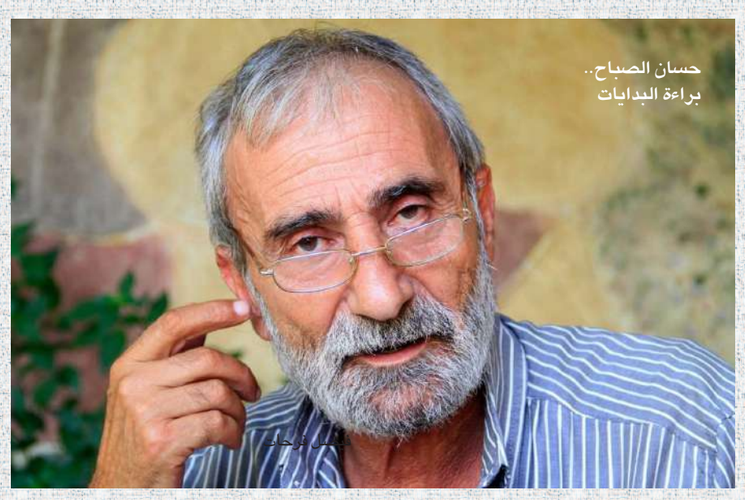

حسان الصباح.. براءة البدايات

المسرحيات المتتالية للشدراوي . مسرحية وراء مسرحية . غير أن حسام لا يحضر في عمل ، في تجربة ، في مشغل ، إلا كإنسان بين الحياة والموت.

يحضر بالقليل من التملك ، يحضر خفيفاً كدوخة النبيذ ، لا نبيذ الشدراوي وحده . وجد الرجل في «نزهة ريفية» و«بلا لعب يا ولاد» و «يا اسكندرية بحرك عجايب» ومتسع مسرحيات الشدراوي الأخرى، كحجل كلما رقص غنى ، يقدم ، يقترح ، يؤول ، يفرش الموائد ، يقرأ بالمتاهات والأعماق . كما وجد في بقع رئيف كرم . محترف المنارة وطوافه المسرحي وفرقة السندباد (مقام الجدي، دشر قمرنا يا حوت) . حضر الرجل بغموضه ، مؤطراً ومفكراً ورحالة لا تنفتح غرف عقله إلا حين تواجه التجربة صداعاً أو ظلاماً لا بالحسبان .كأنه أراد أن يمسك الاشياء بطرف لسانه . لا أن يخوض حروبها . أن يخوض عملياتها لا حروبها المركبة.

لم يلبث الصباح أن قاد كرم إلى النبطية بعد أن لفتته أجراس إنذاره بالعاصمة. منحه قوة أن يواجه عاشوراء على سطح المدينة الجنوبية على سريان كافيينها الأبدي بين البشر. حيادي إذا حاد ، سوى بالنبطية . سوى بعاشوراء ، العرض السنوي الحارق على الأرض الحارقة . هنا شجرته ذات الأبخرة اللاهثة صوب صرخات الحسين. هنا مرآته حيث يخرج الجسد من المرآة إلى أرض الواقع . هنا حمامه الساخن ، إذ ادرك أن الورد إذا لم يسقَ سوف يضحي ورداً ذابلاً بالأحياء المزدحمة، على الشرفات المزدحمة . لا يزال المفكر والمؤثر والمؤطر . هذا تاريخ الرجل المار من دوائر النار . لم يرد أن تتعرض عاشوراء للقتل من تكاثف لحمها على احداثها وعلى من يلعبون أدوارها ، ليغرس فيها جديدها ، بعد أن لعب فيها وصنع منها ما صنعه لمَّا وضع مصيره في مصيرها . لم يهذ بأسماء خاف منها الكثيرون بعد أن جاء بها إلى أرض الفداء. جاء بها مباشرة. جاء برئيف كرم وجواد الأسدي ومشهور مصطفى من أجل إعلاء صرخاتها بعد أن أعلاها هو نفسه. وجد فيهم أدوية السعادة للدراما التاريخية . أصاب ولم يصب . ثم أنه أدخل إلى «دار الحرم» عديد من النجوم ليحكوا حكاية العائلة المقتولة على الطرقات الغائمة ، كعمار شلق وخالد السيد. نجوم التلفزيون في خدمة الملحمة ، بصلة كصلة الوتر بالكمنجة. نجوم التلفزيون بعاشوراء، جديد الناسج والنسيج.

لا سهولة بما فعله الصباح ، حين حدَّث الكاتلوغ القديم ، لكي يبعد مسرحية عاشوراء عن مشارف المتاحف القديمة .لم ينوجد على المنصة كل عام ، حين انوجد بين غبار سجائره، يجذبها بأصابعه المثارة وهو يراقب الأبطال الخارجين من الكتب والروايات. هناك صنع عالمه الأسطوري من المشاعر السابقة المتوجة بالردات غير المتوقعة ، وسط تعقيدات الإحاطة بالأسرار الكبيرة للملحمة .

منتظراً دوماً بضحكة تحرس الأصدقاء، بدون أن تنسى سنوات تعب صاحبها . صاحب الملامح القاسية ناعم كأغاني الغرام في جلسات قصر الأونيسكو ، بجسده المسترخي على الكنبة العريضة ، لا ينتظر شيئاً على نواصيها إلا ابتسامات رفيق علي أحمد وكرم نعمة بدوي وزيارات زاهي وهبي ورضوان حمزة . جلسات وسط بواقي الطعام وغبار السجائر والكؤوس المرفوعة على شجر الصداقة . هذا رجل صديق ، لا بأس عنده من حراسة نوم الأصدقاء ، كبطل لا يزلق يده إلا لتنشر الصدق والصداقة والروائح والمشاعر الناسية سنينها على الضفاف المشعة بالحب والمحبة .

لم يضع حسام الصباح تاجه على رأسه ، هذه القطعة المثيرة ، وهو يلعب بعشرات الأفلام والدرامات والحلقات الإذاعية . أعرف أنها قطعته الناقصة كما يعرف الأصدقاء . هكذا ، بقي على جزيرته وهو يلعب للآخرين في «عشرين عشرين» و«تلة وردة» وما هو أكثر طراوة وأشد قساوة . يوقع حضوره بأول النهار وفي آخره، بالإخلاص من أجل الخلاص من نقصان الحياة.

ثلاث سنوات على الغياب، ثلاث لطخات على جبين المسرح . لادرب له بعد، لا أمنية . لم يخف الرجل وهو يمضي حيث يصادفه بحر حياة آخر ، حيث لا خوف ، لا موت . حيث لا موجات قلق ، لا موجات قلقة .

رؤوف قبيسي

شاعر يكتب عن كلبه «السيد»

(1 من 2)

شغلني السفر في الأشهر الأخيرة عن مطالعة الكتب، واكتفيت بأخبار السياسة، خصوصاً ما يتصل منها بالحرب على غزة، والنار التي ما فتئت تشتعل في جنوب لبنان، وتنذر بحرب لا أحد يعرف مداها وذيولها، وهي مسائل يصعب على أي مواطن لبناني أو عربي تجاهلها، أو الوقوف منها موقف اللامبالاة، لأنها أحداث تدور في منطقة جغرافية فيها بلاده، ولأنها، من الوجهة الإنسانية الخالصة، تمسّه في الصميم. من الكتب التي فاتتني قراءتها، كتاب عنوانه «السيد cooper وتابعه»، و«كوبر» هذا اسم لكلب، أما الكتاب، فهو جديد الشاعر اللبناني عقل العويط. أخذت الكتاب لسببين؛ الأول، لأن العنوان غريب، إذ لم يحدث أن قرات كتاباً عن كلب، لا في العربية ولا في اللغات الأجنبية، والثاني لأني أعرف هذا الكاتب وهذا المكتوب عنه معرفة شخصية، فهذا الكلب، أو السيد «كوبر» هو ربيب الشاعر، وهو أحد معارفي من بني الحيوان، رافقت نشأته في مراحل معينة وهو جرو صغير، ممتلئ القامة أبيض البشرة أشقر الشعر، وكان ذلك خلال زياراتي بيت الشاعر بمنطقة «الأشرفية» في بيروت. وكان «كوبر»، كلما رآني أدخل شقة الشاعر الصديق، يثب عليّ وثبة الأسد، ولا يتركني أرتاح متى قعدت في الكنبة، أو متى جلست إلى المائدة، لأتناول اللبنة والزيتون والصعتر، والبيض المقلي في الفخارة، والواناً شهية أخرى من خيرات ضيعة الشاعر المعطاء «برزيزا»، الواقعة في إقليم الكورة. وكنت كلما شبّ "كوبر" علي، أتذكر الأديب الساخر الراحل سعيد تقي الدين، وقوله، بأنه لم يعرف مقدار وفاء الكلاب لأصحابها، إلا عندما رآها تعض الضيوف! ولأنني أجهل العلم بالكلاب وأنواعها وأجناسها ودرجات هياجها، لم أعرف في البدء أن وثبات "كوبر" عليّ، كانت بدافع التقرب والتصادق، وخالطني شعور غريب حسبت فيه أن "كوبر" لا يحبني، ويحسبني ضيفا ثقيلاً عليه وعلى صاحبه، وعلى وشك أن ينالني بعضة، إلى أن جاء يوم عقدنا فيه هدنة دائمة، وأصبحنا "زميلين"، وصارت العلاقة بيننا على أحسن ما يرام!

«السيد كوبر وتابعه»، صحائف قريبة من القصة ونصها جميل، واضح سلس، لا تعقيد فيه ولا التواء، وأجمل ما فيها، الطريقة التي حملت «التابع» أو المؤلف على تبني هذا الحيوان، أو هذا «السيد»، كما يحلو للشاعر أن يدعوه. وما كان هذا التبني يحصل وفق قول المؤلف، لولا «أنسي»، الابن الوحيد للشاعر، والذي لولاه «ما كان لهذا الكائن كوبر أن يكون صديقي وأخي وتوأمي، ولا أن يكون السيد كوبر». يمضي المؤلف فيقول «إن فكرة التبني جاءت من أنسي، وهو مذ كان طفلا وهو يلح عليّ أن نوسع عائلتنا، وها أنا أسميه السيد كوبر باعتباره سيداً على ذاته، مستحقاً هذه السيادة على اسمه، وعلى كينونته».

حين مضيت في قراءة الكتاب، ورأيت ما نشأ بين المؤلف و«كوبر» من علاقة حميمة، تذكرت ما قرأت في المأثور الديني المختلف، والثقافي المختلف، من كلام يحط من قدر الكلاب، وتذكرت في الوقت نفسه، كلاماً يرفع من قيمة هذا الكائن الأليف. تذكرت أيضا أنه كان لبعض أدباء مصر الكبار كلابهم. كان لطه حسين كلب يحبه من دون أن يراه طبعاً، وإذا كانت سوزان، زوجة طه حسين الفرنسية هي المرأة التي أبصر بعينها كما كتب في «الأيام»، فقد كان كلب «عميد الأدب»، مؤنسه الشفوق في ساعات حزنه، ونوبات الكآبة التي كانت تنتابه في السنوات الأخيرة من حياته. كان لعباس محمود العقاد كلبه أيضا، وكان اسمه «بيجو»، وقد حزن «الكاتب الجبار» على وفاة كلبه حزناً لم يفارقه قط، ورثاه في قصيدة أثيرة عنوانها «دموع على قبر كلب»، وأذكر أن اول مقال نشره لي الراحل أنسي الحاج في ملحق «النهار»، كان لقاءً مع الكاتب المصري المعروف محمود تيمور، في مقهى «غروبي» في القاهرة، وفيه بدا «شيخ القصة العربية»، كما كان المثقفون في مصر يدعونه، حزينا، وحين سألته عن سبب حزنه، أجابني بأنه كان عنده كلب رافقه سنوات طويلة ومات.

(الجزء الثاني في العدد المقبل)

الفنان احمد مظهر في شيخوخته

في ذكري رحيل الفنان احمد مظهر فارس السينما المصرية

نال أكثر من 40 جائزة محلية ودولية خلال مشواره الفني

أمين الغفاري ـ لندن

يستلفت نظرنا موقف،أو يخامرنا نوع من الاعجاب أزاء تصرف ما، نردد على الفورهذا تصرف الفرسان أو ذلك موقف الفارس.وألاكثر من ذلك حين نشيد بجرأة شخص،واقتحامه لمواقع الخطر، بل وحتى حين يدهشنا الشكل المتناسق التكوين، وحسن الهندام اللافت للنظر ،ولياقة الجسم الرياضي ،والجسد المشوق .نردد على الفور هذه مواصفات الفرسان.وعلى الأخص اذا تلازمت تلك المواصفات مع اجادة ركوب الخيل، والبراعة في امتطاء ظهورها، ويصل الأمر الى ذروته،حين يجيد فن القتال .

تلك الصور توارثناها من قرون مضت من الزمن، وقت ان كانت الحروب تعتمد على المواجهة المباشره، ولا تختفي وراء ارتال من الاسلحة،واسراب من الطائرات، وتختفي معها الوجوه المباشره للقتال،والنزال الشخصي بكل عنفوانه وقوته، والأقدام الجسور اذا ماهددت كرامة الانسان فضلا عن الأمه. الفارس ليس فقط من يمسك بالسلاح بمهارة واقتدار،وانما الفارس ايضا في سلوكه واخلاقياته في الترفع عن الصغائر، أو في الطعن في الظلام غيلة أوغدرا أو مراوغه أوخديعة أو التفاف.الفروسيه نجده وسمو وغفران، وصدق مع النفس وصدق مع الغير. والفروسية في النهاية ليست حكرا على ابطال التاريخ، وقادة الأمم ،وجنرالات الحروب ولكنها ايضا يمكن ان تكون في مواصفات الانسان العادي ،فالفروسية اصبحت معنى وخلق وسلوك ،وليست فقط بطولات خارقه أو زعماء تاريخيين.

احمد مظهر وبداياته

كان احمد مظهر بالمواصافات الشكليه، نمطا للفارس التقليدي ،فهو من بداياته حتى وافته المنيه، كان شديد الحرص على مواصافاته التقليديه من حيث اللياقة البدنيه والألتزام الرياضي، فهو ملاكم منذ مطلع شبابه،وله جولات بطوليه في هذا الميدان، وهو خيال بعد تخرجه من الكلية الحربيه، تم التحاقه بسلاح المشاه لمدة عام،ثم نقل الى سلاح الفرسان، وكان ضمن المنتخب المصري الملكي للفروسيه وظل بسلاح الفرسان، وتدرج في مواقعه العسكريه حتى اصبح قائدا لمدرسة الفروسية.و لذلك هو فارس شديد الحنكه في حياته العسكريه، وايضا فارس مخلص وأمين في حياته الشخصية، وبين خيوله الخاصة يرعاها،وايضا يمارس هوايته الخاصه في السباق. 1951 عاد الى مصر فنان كان يدرس الاخراج في الولايات المتحده الامريكيه،وهو المخرج السينمائي (ابراهيم عزالدين)، وكان يستعد لأخراج فيلمه الوحيد، فلم يخرج فيلما بعده، رغم ان الفيلم حقق اقبالا شديدا وانتشارا واسعا ،وهو فيلم (ظهور الأسلام) عن قصة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (الوعد الحق) واختار مجموعة من الممثلين يتقدمهم في دور البطوله (عماد حمدي) كما اختار زوج شقيقته ضابط الجيش (احمد مظهر) في دور عمرو بن هشام (أبوجهل) بعد ان حصل على اذن من الجيش للتمثيل.وقام احمد مظهر بهذا الدورالشرير في اول ادواره السينمائيه، ورغم النجاح المدوي للفيلم، وقد كان اول فيلم عن الأسلام، الا ان احمد مظهر لم يكرر هذه التجربه الا 1957، حين فاتحه الكاتب الروائي (يوسف السباعي) وكان ضابطا بالجيش ايضا ويعرف احمد مظهر معرفة شخصية بحكم الزماله في الجيش، للتمثيل في فيلم (رد قلبي) وفي دور البرنس (علاء) وتعهد له بالحصول على اذن جديد من الجيش للتمثيل، وكانوا على ثقة شديده في الحصول على ذلك الأذن، ودارت عجلة التصوير،وقطعت مراحل غير قليله، لكي يفاجأ الجميع بالرفض من قيادة الجيش باعطاء التصريح المطلوب بالموافقه. هنا كان على المنتجه (أسيا داغر) ان تبحث عن ممثل آخر،وان يتم اعادة التصوير من جديد مما يعنى خساره فادحه لشركة الانتاج، لكن فروسية (احمد مظهر) كان لها موقفها،فقد قدم استقالته من الجيش ،وبذلك استمر في اداء الدور، مما انقذ المنتجه من خسارة كبيره. قام يوسف السباعي بتعيين احمد مظهر في المجلس الأعلى للفنون والآداب ،ولكن نجاح احمد مظهر في اداء الدور في الفيلم فتح له الأبواب كنجم سينمائي، ومن ثم قدم استقالته من الوظيفه وتفرغ للتمثيل. اما عن فروسيته في مواقفه، فانها تتعدد في ظروف صادفته، فوقف منها ما شعر أنه الواجب،حكايات كثيرة تروي عن (احمد مظهر) من حيث مواقفه والتزامه وخصوصا امام نفسه، ومنها أنه قد تعاقد مع المنتجه السينمائيه (أسيا) على بطولة فيلم (الناصر صلاح الدين) على اجر محدد ،وبدأ تصوير الفيلم ولكنه تعثر انتاجيا عدة مرات ،نظرا لأنه انتاج كبير لابد ان ترصد له ميزانية كبيرة، ولم يتوفر له التمويل اللازم ،ولذلك توقف عدة مرات في الوقت الذي ارتفعت فيه اجور النجوم ، وطالبوا بزيادة الأجر بما يتناسب مع مكانتهم الجديده ،فيما عدا الفنان (احمد مظهر) قال للمنتجه لقد تعاقدت معك على اجر محدد للفيلم، وانا ملتزم بهذا الاتفاق، وتعثر الفيلم انتاجيا ليس ذنبك ، وانما للظروف المصاحبه للأنتاج، ولن ازيد مشكلتك مشكلة أخرى، ولذلك اجري كما كان متفق عليه دون زياده. ثم حكاية أخرى تقول ،انه حين انتج فيلم (الكرنك) ذهب اليه المنتج وكاتب السيناريو (ممدوح الليثي) وطلب منه ان يقوم بدور رئيس المخابرات،وهي شخصية ترمز الى (صلاح نصر) مدير المخابرات في عهد (عبدالناصر فرد عليه قائلا (انه لن يشارك في فيلم يهاجم عهد عبد الناصر،فرد عليه الليثي قائلا) الفيلم لا يهاجم عهد عبدالناصر، ولكنه ضد التعذيب والقهر)، فرد مظهر قائلا (لا انه يهاجم عهد عبدالناصر، ولا يحاول احد خداعي). المهم ان هذا الفيلم كان بطله (نور الشريف) وقد قال لاحقا (احمد مظهر كان أكثرنا وعيا).

ولد الفنان أحمد مظهر فى 8 اكتوبر 1917 بمحافظة القاهرة. تخرج في الكلية الحربية في عام 1938، وهي الدفعة التي كانت تضم كلًا من جمال عبدالناصر وأنور السادات وعبداللطيف البغدادي وحسين الشافعي. زامل الرئيس الراحل انور السادات في سلاح المشاه وكانا على اتفاق في تقديرهم الكبير لرجل العسكرية الكبير الفريق عزيز المصري. انضم للضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر ، وعقدت بعض الاجتماعات في منزله. شارك في حرب فلسطين 1948. ينتمي لاسره ارستقراطيه، لذلك لم يعرف الاختلاط بالمجتمعات المفتوحه الا حين دخل الى المدرسه واختلط بزملائه من الطلبه .كان متفوقا في دراسته، ودخل كلية الطب البيطري فقد كان يتطلع الى تربية الحيوانات، وبعد التحاقه لم يستمر حيث التحق بالكلية الحربيه ،فقد راق له بعد ذلك ان يكون ضابطا بالجيش، وترك القوات المسلحه وهو برتبة عقيد. صادف ظروفا صعبه في حياته منها في الجانب الأسري، حين عرفت الخلافات طريقها الى منزله، ويقول عماد الأسرة دائما الأحترام المتبادل بين الزوج والزوجه ولكن حدثت التجاوزات في الحوار بينه وبين زوجته السيدة هدايت التي كان يحبها ويحترمها، ما أدى إلى انفصالهما بقرار مؤلم. وكان سبب الخلاف اتهام مظهر لزوجته بالإهمال بعد أن قام ابنه شهاب بإطلاق النار خطأ من مسدس والده على أحد أصدقائه ما تسبب في وفاة الصديق وتأثر مظهر، ويقول مع شدة الحوار وكل يحمل الآخر المسئوليه حدث الأنفصال. الموقف الصعب الثاني في حياة الرجل كان اصطدامه برغبات شقيقته (فاطمة مظهر) التي أرادت دخول عالم الفن، بينما كان هو رافضاً للفكرة خوفاً عليها. وقد تألم مظهر كثيراً لتمرد شقيقته عليه، وحز في نفسه عدم اكتراثها بنصائحه، فقاطعها لسنوات طويلة. ورحل في 8 مايو عام 2002، وقد ترك خلفه تراثا فنيا عريضا نذكر منه في السينما افلام الناصر صلاح الدين «الأيدي الناعمه» و «رد قلبي» و«الزوجه العذراء» ظهور الاسلام، وأخرج فيلمين هما «نفوس حائرة» و «حبيبة غيري»، في التلفزيون قدم اعمالا كثيرة منها مسلسلات محمد رسول الله والقضاء في الاسلام كما قدم مع فاتن حمامه «ضمير ابله حكمت» و «عصر الفرسان ضد التيار». نال الفنان أحمد مظهر خلال مشواره الفني أكثر من 40 جائزة محلية ودولية منها: – حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام 1969 جائزة الممثل الأول في فيلم (الزوجة العذراء). جائزة في التمثيل عن دوره في فيلم الليلة الأخيرة – كُرّم في الدورة التاسعة عشرة والرابعة والعشرين لمهرجان القاهرة السينمائي.

حديقة مظهر العالمية

تعددت هوايات الفنان احمد مظهرومنها الفروسية وركوب الخيل، والرمايه والملاكمه وايضا كانت الزراعه وخصوصا الحدائق والبحث عن النباتات النادره ولذلك خصص مساحه أكثر من 45 فدانا في منطقة البراجيل بالجيزة، لأنشاء حديقة ذات اشجار وزهور نادره واعطى هذا المشروع الكثير من اهتماماته وراعيته، ونجح المشروع نجاحا مبهرا ، فقد عمد كما تقول (تريزه لبيب) أستشارية الحدائق التاريخيه والمسؤوله حاليا عن حديقة مظهر النباتيه، الى تجميع بعض الأنواع النباتيه من الحدائق التاريخية ومن معارض الزهور ومن الرحلات الخارجيه)، بحيث اصبحت الحديقه منذ منتصف الثمانينات تأخذ منحى علميا وثقافيا، وتبشر بمكانة متميزة .لكن ذات يوم فوجئ جمهور المشاهدين لشاشة التلفزيون في الثمانينات من القرن الماضي بالفنان الكبير احمد مظهر وقد كست وجهه معالم الشيخوخة ممسكا بعصاه في جلسه مع الاعلامي مفيد فوزي ،وتدرف من عينيه الدموع الساخنه بسبب حديقته تلك التي تحوي مجموعة من اندر الأشجار والزهور، وقد اوشك (البلدوزر) على دهسها وازالتها من الوجود ،من اجل انشاء المحور الذي كان يمر بجوار (فيلا احمد مظهر) ولأن تلك الحديقه اصبحت كل حياته فقد سالت دموعه بغزاره، نال بها عطف الكثير من المشاهدين . حاول الرئيس الراحل حسني مبارك من خلال وزير الاسكان والمرافق امكانية اجراء تعديل لتفادي نزع نصف ارض فيلا احمد مظهر ،وتمت دراسات من اجل ذلك ،ولكن رأي المهندسون لا محالة من فعل ذلك ، فالأبتعاد عن الفيلا يستلزم اجراء انحراف بالطريق عشرين مترا ناحية الاسكتريه ما يمكن ان يتسبب في وقوع الحوادث.عرضت الحكومه عليه تعويضا ماليا كبيرا نظير الجزء المستقطع من حديقة الفيلا ، لكنه رفض بشدة ،وقال «ان الأشجار النادره لا تعوض بمال ثم ان الفيلا قد تشوهت».

وكان يقضي بها ايامه الأخيره دون ان تبرح خياله . لكن القصة لم تنته . استلم الفيلا والحديقه ابنه المهندس (شهاب مظهر)، واستكمل رسالة والده والآن والحديقه تبلغ حوالي ثلاثين فدانا ،فقد عمد الى تطويرها ورعايتها ،واصبحت حديقة عالميه ورئة مهمة للقاهرة الكبري وحائط صد في مواجهة التغيرات المناخيه في هواء القاهره. فى تقرير (للدكتورة وفاء عامر)، أستاذة النباتات بجامعة القاهرة، وعضو الاتحاد العالمى لصون الطبيعة، واللجنة الوطنية لليونيسكو، قدرت أن «حديقة مظهر» تمتص فى العام 580.046.2 كيلو ثانى أكسيد الكربون من هواء القاهرة الكبرى. وتقدم الحديقة، حسبما تؤكد الاستشارية المسؤولة عنها، خدمات جليلة فى البحث العلمى، فهى تقدم النباتات من أجل الأغراض البحثية لكليات العلوم والمراكز البحثية وكليات الصيدلة والمهتمين بالتشجير، كما أنها أمدّت الحدائق التاريخية بأنواع نباتية جديدة لكى تُثرى هذه الحدائق بالأنواع غير الموجودة لديها، كما أمدّت الحدائق النباتية لكليات العلوم في الأسكندرية ـ وعين شمس، وهو الدور الذى نال به المهندس (شهاب مظهر) عنه عدة جوائز تقديرية من كلية علوم الاسكندرية وكلية علوم عين شمس، وكذلك علوم القاهرة.

الحياة لا تتوقف عند حادثة او مأساه ولكنها تمضي ،وبارادة الأنسان وعدم استسلامه أو نكوصه ويأسه يمكنه ان يستمر وان يجدد وان يخلق فرصا اخرى مواتيه . رحل احمد مظهر الفنان والانسان والطموح والمجدد ،وايضا الفارس خلقا ونبلا وعطاء ،ولكنه ترك ارثا وبصمه مؤثره ونافعه عبر الطبيعه وعبر الفن وعبر القيم النبيله للأنسان.

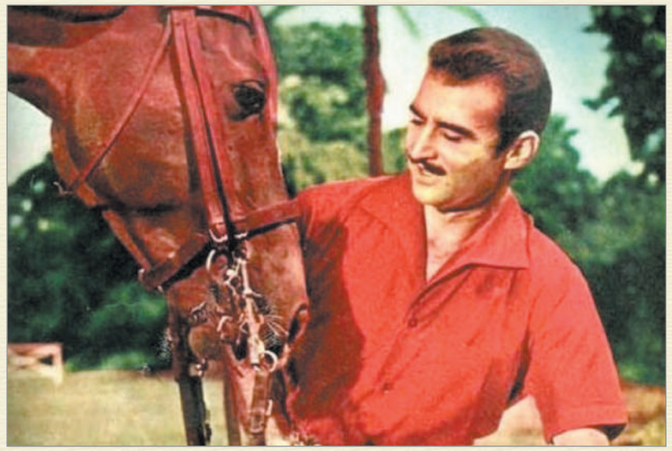

الفنان احمد مظهر مع خيله

...لقطة من إحدى الحوارات الفنية

رنيم ضاهر - بيروت

لطالما كان لبنان ضحية الحرب والعنف المستشري، ولطالما دفع ضريبة جماله وموقعه الجغرافيّ الاستثنائيّ، مع العلم أن شعبه قادر بكلتا الحالتين على العيش وسط الألغام وضوضاء العالم، سواء كانت حروبه أهلية وداخلية أو ذات بعد إقليميّ وخارجيّ.

فهل غريزة الحياة هي التي تنتصر دائماً عند اللبنانيّ، الذي يعاني من أزمة اقتصادية مستمرة، و فقدان تام لمعالم الدولة؟ أم أنّ الصراع بين أطيافه لا نهائيّ ومستمر؟

السؤال الثاني: هل الأجندات الخارجية ستمنح لبنان مهلة لاستعادة الاقتصاد المدمر ورفع الأنقاض من الجنوب الرابض تحت وقع الصواريخ والمسيّرات وصراع الدول والمحاور؟

لا شك أن المجتمع اللبناني لم يكن يوماً متناسقاً، أو على وئام تام، فلبنان منذ ولادته كان موطناً للطوائف المختلفة الانتماءات والتطلعات، ولكل واحدة زعيمها الحاكم بأمره، وقد تعرض على امتداد تاريخه لحروب طاحنة واغتيالات سياسية منظمة، وهجرة للأدمغة ونزوح من مناطق الصراع.

ولا يقتصر الخلاف على الطوائف المختلفة العقيدة، بل يمتد ليشمل مشكلات داخل البيت الواحد، فاللبنانيّ القادر على الإنجاز وحب الحياة والتقدم يبقى طائفياً في جيناته، فلا الحرب ولا السلم ولا المواطنية استطاعت يوماً أن تصلح ما أفسده الدهر على امتداد التاريخ.

فالانزلاق من حرب إلى أخرى، ومن وجود إلى آخر هي من سمات هذا الوطن الواقع ضمن مناطق نزاع ملتهبة على الدوام.

لكن يبقى السؤال الأهم: هل أن للطبيعة قراءتها المختلفة وهل عوضت الجغرافيا اللبنانية الساحرة عن تاريخ البلد المأساويّ؟

يُعتبر لبنان دولة سياحية بامتياز، وقد سمي يوماً سويسرا الشرق، لأنه كان بمناخه المعتدل وجماله الاستثنائيّ مقصداً للسائحين من البلدان العربية وسائر أنحاء الأرض،

فكانت تمثل فبه الأفلام، وتُكتب لأجله الأغنيات وكانت تُقام على أرضه أهم عروض الأزياء العالمية.

لقد كان قبلة للوافدين من مختلف دول العالم.

وكان يُعتبر أرضاً للفن والتلافي والجمال، قبل ان يتحول ساحة عبث مفتوحة، بسبب الحرب الطائفية التي لم ينقذه منها سوى اتفاق الطائف.

وقد شهد البلد نتيجة ذلك، نهضة اقتصادية وعمرانية ملحوظين، حيث عادت السياحة إلى ما كانت عليه قبل الحرب المدمرة.

ولكن الأمر لم يستمر طويلاً، والسبب كمية الاغتيالات التي طالت أهم شخصيات لبنان، الأمر الذي انعكس سلباً على الحركة السياحية والاستقرار الأمنيّ، ممّا أدى إلى انخفاض ملحوظ في نسبة الواردات في الخزينة، وتدهور تدريجيّ في أعداد السياح الوافدين من الخارج أو حتى من دول الاغتراب.

وهكذا توالت الأزمات وصولاً للازمة الاقتصادية الحالية الخانقة، والفراغ الرئاسيّ وعدم انعقاد مجلس الوزراء بسبب الخلاف الذي يقسم البلد إلى محورين، وبالتالي قيادة البلد إلى طاولة الصراع الإقليميّ المحتدم والمفتوح على كافة الاحتمالات.

والسؤال الذي يطرح نفسه : أي وطن نختار؟ في ظل الانقسام والتمحور والتغاضي عن المواطنية الحقة لصالح الخارج الذي يتلاعب بالجدران الداخلية للوطن ومواطنيه؟

نلاحظ أنّه ما بعد فراغ موقع السدّة الرئاسية، وتقويض الاقتصاد لم يعد هناك مجالٌ للتصالح، خاصة بعد أن نهب السماسرة من الزعماء والسياسيين والصيارفة أموال الناس، وشردوا مواطنيه الذين أصبحوا عاجزين، بعد أن فقدوا جنى أعمارهم، وبعد انفجار المرفأ الذي أطاح بالبقية الباقية من عمران بيروت وأحلام أبنائها وقاصديها من مختلف المناطق.

وهذا ما حدا بالكثيرين إلى الهجرة، والبدء من جديد خارج زنزانة الوطن. ولم ينقص البلد، سوى الحرب الأخيرة المستمرة منذ اشهر على الجبهة الجنوبية، تزامناً مع حرب غزة التي أبكت العالم وفجعت قلوب البشرية جمعاء.

لكن هل كان الربط بين لبنان والعنقاء مجرد حكاية أسطورية أم هو ترجمة رمزية لقيامته المتجددة، وإرادته العصية على الانكسار؟

إن كل ما يجري في الأشهر الأخيرة يثبت أن لبنان ضيّق المسافة بين الأسطورة والواقع، فلا الزلازل الدائمة تمكنت من إزالة هذا البلد الصّغير ولا جحافل الدول الغازية، ولا المطامح الأهلية الدموية.

على أن الأمر ليس وليد الصدفة أو المعجزة، بل هو ثمرة الهوية اللبنانية نفسها التي صاغت من خلال انفتاحها على الخارج وتعلقها بأهداب الحياة وطبيعتها الثقافية المركبة معنى وجود الإنسان على هذا الكوكب البائس.

وهو ما يفسر احتشاد مطار بيروت البائس بالمغتربين العائدين إلى وطنهم، والذين لم يثنهم العنف المتربص بعاصمتهم ومطارهم وبلدهم، عن «الحج» السنويّ إلى وطنهم ومساقط رؤوسهم.

وانطلاقاً من أجواء الصيف اللبناني، يتبين لنا أن شهري حزيران وتموز عامران بالمغتربين والأحباء، الذين لم تثنهم الظروف القاهرة عن تواجدهم إلى جانب عائلاتهم، وبث الحيوية في الجانب السياحي .

فنجد أن الاحتفالات والكرنفالات ممتدة على كافة الأراضي اللبنانية، حيث لا تخلو منطقة منها، إضافةً إلى أجواء السهر، وكذلك المطاعم الحافلة بمرتادیها الكثر.

إن هذا النوع من نمط الحياة، يؤكد أن اللبنانيين قادرون على التأقلم، وأن حس المغامرة جزء لا يتجزأ من نفوسهم المولعة بالفرح والتجدد، واعتبار الحاضر هدية ثمينة من هدايا القدر.

إن موسم الاصطياف كما التزلج مكتظان بالمصطافين ومحبي الاستجمام، إذ نجد أن الشواطئ تشهد ازدحاماً، وكذلك ألعاب المياه الترفيهية والشاليهات المحجوزة لأشهر إضافية.

هذا عدا عن الجبال، حيث الهواء النقيّ والهدوء يستقبل الصيف بإطلالات ساحرة وحفلات طربية وراقصة، وقد فتحت معظم الفنادق أبوابها أمام الوافدين وعائلاتهم في أجواء احتفالية متنقلة.

أمّا المدن الساحلية على امتداد الوطن، كبيروت وجبيل والبترون وصيدا وشكا وصور وغيرها، فهي تشهد أيضاً إقبالاً على الحياة من خلال الحركة السياحية، والحفلات والأنشطة المختلفة، إضافة إلى زيارة الأماكن الأثرية المتواجدة في مختلف هذه المدن، دون أن ننسى قلعة بعلبك والدهشة التي تُحيط باعمدتها التاريخية.

هذا مع العلم أن كازينو لبنان شهد الكثير من الحفلات والعروض الفنية والموسيقية في الآونة الأخيرة،والتي كان أغلبها حافلاً بحضور جماهيريّ وتفاعل وتغطية إعلامية وثقت الحدث، وتستمر هذه الأجواء على مدى الأشهر المقبلة.

للسنة الثانية على التوالي، شهد وسط بيروت التجاريّ "البالّ" حفلة استثنائية أحياها الفنان عمرو دياب، وقد شاركه الجمهور الذي ارتدى بمعظمه اللون الأبيض، والذي يرمز إلى السلام والتلاقي والمحبة، وقد صدح صوته حتى ساعات متاخرة من الليل، ملوناً ليل بيروت بالموسيقى والرقص ، والجدير بالذكر أن السّاحة كانت ممتلئة بالجمهور المنسجم مع أغاني الفنان القديمة والجديدة.

هذا وستقدم فرقة «مياس»، عرضاً يُنتظر أن يكون حاشداً في الفوروم دو بيروت في الاول من شهر آب القادم، عنوانه الأساسيّ "قومي"، وقد اختار نديم شرفان وفرقته الراقصة هذه التسمية ليحاكي وجع بيروت بعد انفجار المرفأ يوم الرابع من آب، بسبب وجود كميات من نيترات الأمونيوم داخله، ويعتبر شرفان أن اللوحات الراقصة هي بمثابة ترميم للخراب، ونهوض المدينة كطائر الفينيق من جديد، لتُثبت استثنائيتها وقدرتها على تغيير الواقع الأسود الذي فرضته الحروب المتتالية.

إن فرقة مياس الحائزة على جوائز عالمية، ومنها Talent America's got ستحمل معنى إضافياً برقصات خيالية من صنع الواقع، لتؤكد مرة بعد مرة أن إرادة العيش أقوى بكثير من ثقافة الموت.

وأن الثورة الحقيقية تبدأ من الفن وتنتهي بواسطته، وأن الشعب الذي شهد أقسى الأحداث، هو نفسه قادر على انتشال المدينة من ركامها بتعميم ثقافة الابداع والتلاقي والعيش المشترك.

نضيف أيضاً أن المسرح يُلاقي رواجاً في مدينة بيروت وضواحيها، حيث يُقبل الجمهور وبكثرة على حضور العروض المسرحية على اختلاف أنواعها، سواء التي تتناول المواضيع الاجتماعية أو الثقافية أو الكوميدية، ويشهد المسرح في هذا الإطار رواجاً، فالعروض بمعظمها ممتلئة وحاشدة، ونذكر على سبيل المثال مسرح المدينة الموجود في شارع الحمراء والمحجوز حتى الربيع المقبل، وكذلك مسرح مونو.

يستضيف لبنان أيضاً وجوهاً عربية مختلفة، لإحياء حفلات الصيف ومنهم الفنان العراقي كاظم الساهر وشيرين عبد الوهاب وهاني شاكر، إضافة إلى أسماء لبنانية منهم الفنانة إليسا وفايا يونان وسمية بعلبكي وعبير نعمة وغيرهم. يبدو من الواضح أن لبنان له طابعه الخاص سواء الثقافيّ أو نمط حياة أبنائه حيث المنافسة البناءة والتي تدفع بالكثيرين إلى التغيير والاستمرار حتى في أحلك الظروف.

فنجد أن لبنان رغم أزماته المتتالية يعرف كيف ينتزع الحياة من قلب اليأس والظلمة الحالكة، وأن جميع مكوناته تعبر الجلجلة بثبات، لرسم المستقبل كما يليق بشعب حضارته تعكس حاضره ومستقبله، وذلك عبر المهرجانات الثقافية والفنية، ونشر الإصدارات المهمة، والثورة على الواقع المرير.

لبنان اليوم يحيى دون مرفأ، وبالحد الأدنى تنقل قنواته التلفزيونية مظاهر الحياة السعيدة للآخرين عبر منابرها، حيث يرفع اللبنانيّ عالياً حبه للحياة والتمرد والتقدم نحو المستقبل بعيون ثابتة، وقادرة على اجتراح المعجزات. وقد تكون أغنية جوليا بطرس "منرفض نحنا نموت/ قولولن رح نبقى..."، والتي أطلقتها في ثمانينات القرن المنصرم ما زالت صالحة للاستعمال في زمننا الحاضر لأن الموت يُجدد نفسه من جهة، ورفض الموت يُجدد نفسه من جهة أخرى. ■

لبنان يحيي صيفه بالمهرجانات العابرة للموت

عين على الواقع المرير وأخرى على حب الحياة

اللغة نفسها يكتبها الشاعر والقاتل

محمد علي فرحات

أبعد من المعارك وأخبارها اللاهبة، هناك الإرادة الصلبة في حفظ الذات، ليس هربا من الموت بل تعمّقا بالحياة كما نمارسها. ونحن، مثل علماء الآثار والمنقبّين، نحفر في نفوسنا بحثا عن الجواهر، لحظات الحب في ماضٍ طمرته أنقاض اللغة، حين نرى اللغة سبيلا إلى عقد صفقات وإصدار بيانات حماسيّة للتمويه على أفخاخ تُنصب للأبرياء.

اللغة نفسها يكتبها الشاعر كما يكتبها القتلة والآمرون بالقتل، لغة تتأرجح بين البراءة ودنس الروح، لذلك، ربّما، يكتب الشعراء بحذر، ويختارون الكلام للحدّ من التوجهات الضالة والمضلّة. وقد يعمد شعراء فوضويون إلى خلط الدلالات ليبعثوا برسالة إلى العالم، أن الحبّ والصلاة والرحمة تتجاور مع الكراهيّة واللعنة والتعدّي. وعالمنا الواحد تتعذّر قسمته، كما حاولت عقائد شرقيّة اعتمدت الثنائية وآمنت بها: النور والظلام، الفضيلة والرذيلة، الرحمن والشيطان... إلى ثنائيات كثيرة ليس لها آخر.

قال صديقي إنه يمارس تمارين لتنشيط ذاكرة الحب، ويعتبرها حفرا ناجحا في الذات. يتذكّر علاقة حب قديمة بتفاصيلها تعويضا عن جفاف عيشه على حافة دمار وطن ومجتمع. وهو يذهب إلى تفاصيل رئيسيّة وثانويّة، ربما لا علاقة واضحة لها بمسرح حبّه القديم، كأنْ يتذكّر سعر صفيحة البنزين حين ملأ خزان سيارته في الطريق إلى موعد غرام.

وأكثر ما يساعد في حفريات الذاكرة الموسيقى والغناء ومعهما الشعر، مقطع أو بيت لاستنهاض الحالة، حتى في غياب الشريك. والأهم هو استحضار صورة الحبيبة، تكوينها حين تطلّ من مفترق شارع قديم أو من خلف شجرة دهرية. يحاول تحديد لون البشرة الغريبة للحبيبة في أول المساء. يتذكّر أنها بيضاء، لكنّ الصورة غامضة أو غائمة، فالأبيض ليس لونا وهو أيضا ليس واحدا موحّدا، على رغم مشترك البياض.

بشرة بيضاء يشوبها لون الزعفران الشاحب، مع قليل من التوهّج. هنا تصل الحفريات إلى متن علاقة الحب، وتذهب بها إلى مجال ابعد: اتصال الأعراق البشرية. هنا الحب أيضا يجمع لغتين، شعبين، وبالتحديد عرقين، في المسار الصعب لتكوين جنس بشريٍ واحد على أرضنا الواحدة.

وما يمنع الحبّ ويكاد يوصد أبواب قصره هو عالمنا الافتراضي، عالم مفتوح لكثيرين ومن بينهم أهل الفتوى الذين هم ليسوا أهلها حقاً، عالم يشبه غرفهم المغلقة يوم كانوا يعتزلون الناس نتيجة نقيصة أو بغضاء لا من زهد أو تأمّل.

لقد انطوى عهد الخطباء المفوهين أمام جمهور في عقل جمعي، حتى إذا قال قائل: اهجموا. هجموا بلا تعقّل. نحن الآن في عهد المواقع والرسائل الإلكترونية والهمس النمّام وبث البغضاء من مجهول إلى مجهولين، من معزول إلى معزولين.

لا يخاطبك. لا ينتظر سماع صوتك، سؤالك أو جوابك. إنه يلبّي شيطان عزلته ويتفجّر. تُقتلان معا من دون أن تتعارفا.

والرد على التفجيري يكون بواسطة الطبيعة. بزوغ الشمس بعد المطر. الرؤية الحسنة لجمال متاح للجميع، حيث المزارعون في قلب الطبيعة ومن أيديهم الخضراء ينمو نبات وشجر. وهناك أيضا العاملون في حقول الإنتاج الإنساني، أهل الفنون وأهل الحلم، الفاتحون قلوبهم على محبة الدنيا بما فيها وبمن فيها.

وأبعد من الحرب اللاهبة في فلسطين ولبنان الجأ إلى تهدئة النفس باستعادة أمكنة وأصدقاء تمسكوا بعروة الأدب والفن لتقيهم ضلالات التعصّب والقتل.

كانت سهرة ولم تكن. لم يلتق الأصدقاء حوزف حرب في بلدته "المعمرية". التقيت عادل شاهين، كان هابطا من قريته "عقتانيت" ليشتري جرائد ويلتقي أصدقاء في صيدا، و اتفقنا على لقاء يجمع أدباء وفنانين من أبناء منطقتنا، وقد اقترح أن تكون السهرة في بيته أو في بيت جوزف حرب، إذا أصر الأخير على استضافتنا، كونه شيخنا. توليت إبلاغ نقولا دانيال بفكرة السهرة، وتأكدت أن إبراهيم الغريّب سيأتي قريبا من مهجرة الكندي ليزور الأهل والأصدقاء، وأجّلت مكالمة ضاهر أبو غزالة إلى ما بعد عودتي من زيارة عمل إلى عمّان.

لا أدري كيف تجمع ذاكرتي جوزف حرب وسيمون عواد معا على اختلاف ما بينهما، فجوزف الذي حصّل رزقه من الكتابة للإذاعة والتلفزيون وأبدع شعرا بالمحكية اللبنانية والعربية الفصحى ، كان يسارياً ملتزماً بلبنان وطنا للعدالة والجمال، في حين أن سيمون عواد الذي رافق جواد بولس وشارل مالك وفؤاد أفرام البستاني في "جبهة الحرية والإنسان" مع الرصاصات الأولى في حروب لبنان، كتب مقالات ومؤلفات حول معنى لبنان الحضاري، لكنّه انصرف لاحقاً إلى نشر الكتب وكتابة مقالات سياسية في الصحافة اللبنانية الاغترابية في الولايات المتحدة ، حيث صادفته في «ديربورن- مشيغن» عام 2001.

يجمع حرب وعوّاد أنهما لغويان تولّيا تدريس الأدب العربي في صفوف البكالوريا حتى قبل أن يكملا دراستهما الجامعية، وما ميّز جوزف حرب احترافه الأدب وجمالياته، هو الذي صادق رئيف خوري وورث عنه مكتبه في بناية اللعازارية وسط بيروت، حيث كان أدباء لبنانيون، آخرهم الشاعر ميشال سليمان، يستأجرون مكاتب خاصة ليكتبوا أعمالهم في جو هادئ.

في عمّان أبلغني زهير أبو شايب خبر رحيل جوزف حرب المفاجيء. لقد اخلّ مرغما بوعد السهرة مع الأصدقاء في جبل صيدا. وطلب زهير من صاحب المقهى حيث نجلس بث أغان لفيروز كتب جوزف كلماتها، فسمعنا "ورقو الأصفر" و "يا قونة شعبية". وبعد سنوات وصلني في مهجري الكندي خبر رحيل عادل شاهين وما لبثت أن شاهدته على الشاشة بطلا في فيلم هو تجربته السينمائية الوحيدة. وفي الفيلم يموت البطل ويرتاح من خضوعه لحصار عبثي في حرب عبثية. ■

اصحاب السمو الامراء والاميرات في افتتاح المهرجان

أم كلثوم في (مهرجان موازين) بالمغرب

فلسطين درة مهرجان عمان السينمائي الدولي

■ ثمة خلاف حدث حول مهرجان عمان السينمائي . كان هناك من يري صعوبة عمل حفل سينمائي في عمان بينما هناك حرب وضحايا في فلسطين، ومجازر تحدث في غزة، ولكن كان هناك من يري، نعم يمكن من اجل استثمار هذه المناسبه،وكشف مايدور وما يحدث للعالم كله من خلال هذا المهرجان. ولذلك فقد تم الأمر بكل طقوسه فغابت السجاده الحمراء، وكذلك نغمات الموسيقى ودخل ضيوف المهرجان الى صرح (مركز الحسين الثقافي) في العاصمة الأردنيه عمان.

كانت تصريحات (الأميره ريم علي) تنطق بالمفهوم من المهرجان حيث قالت (هذه السنه نحن لانقيم احتفالا بل احتفاء بسرد القصص التي تعكس هويتنا)، وقد اطلق على هذه الدوره شعار (احكيلي) انطلق المهرجان 3 يوليو حتى 11 يوليو. يتضمن برنامج الأفلام للمهرجان 52 فيلماً من 28 دولة منتجة ومشاركة في الإنتاج، ما بين أفلامٍ روائية طويلة ووثائقية عربية ودولية، بالإضافة إلى الأفلام القصيرة العربية، وجميعها عروضٌ أولى ومنها 12 فيلمًا تعرض لأول مرة في العالم العربي، واثنين لأول مرة عالميًا. و5 أفلام تعرض لأول مرة دوليًا خارج بلدها الأصلي. ذلك بجانب عروض أفلام قسم (موعد مع السينما الفرنسية - العربية) وهو قسم غير تنافسي يضم خمسة أفلام روائية وستة أفلام قصيرة إما فرنسية أو مشتركة الإنتاج ، ويسلط الضوء في هذا العام على السينما الفلسطينية من خلال قسم (إضاءة) الذي يشمل فيلم (باي باي طبريا) للمخرجة لينا سويلم، وفيلم «باب الشمس» للمخرج يسري نصر الله، إضافة إلى مجموعة أفلام (من المسافة صفر) التي جرى تصويرها بعد اندلاع حرب غزة.

كتاب جديد يتناول ادوارد سعيد.. الأستشراق سيرة ومسيرة

■ صدر حديثا دار عن المؤسسه العربيه للدراسات والنشر في بيروت كتابٌ جديدٌ بعنوان (ادوارد سعيد الأستشراق سيرة ومسيرة) للدكتور ألاردني محمد شاهين ألأستاذ بجامعة الأردن يتناول فيه ذلك البحث الهام عن هذا المفكر الفلسطيني الذي ذاع صيته كأحد الرموز المضيئه في الفكر الانساني واسهامه الشديد الأهمية في طرح فكرة الأستشراق في اصولها ومراميها ، واللغط الكبير الذي صاحبها يقول الدكتور محمد شاهين ان ادوارد سعيد لم يكن مجرد استاذ اكاديمي تنقلت مسيرته العلمية الطويله بين اعرق الجامعات، انطلق منها إلى سائر بقاع العالم يحمل رسالة كونية في الفكر والسياسة؛ إذ أصبح وجوده في جامعة كولومبيا مركز إشعاع ثقافي يحمل جاذبية خاصة يؤمها مفكرو العصر من مختلف أنحاء المعمورة. بداية: كان كتاب «الاستشراق»، الذي ظهر بالإنجليزية عام 1978، نقطة انطلاقة ما زالت تحمل تداعيات مهمة في العلاقة بين الغرب والشرق.

أم كلثوم... «تقنية الهولوغرام»

■ التقدم التكنولوجي يحقق الأحلام ،والتجربه كانت على مسرح محمد الخامس في العاصمة المغربيه الرباط . فقد وقفت ام كلثوم من خلال تقنية (الهولوغرام) في مهرجان فنى لم يكن له مثيل من قبل لتغني وتطرب جماهير غفيرة لم تشاهدها أو حتى تعاصرها ،وان كانت تعيش في خيالهم من فرط ما سمعوا عنها وشاهدوا اشرطتها التلفزيونيه ،بالأضافه الى افلامها السينمائيه ،حتى وان كانت قليله.

بدأ المهرجان الذي اقيم في إطار دورته (19) ويعرف باسم (مهرجان موازين إيقاعات العالم) برائعة أم كلثوم (انت عمري) وما إن ظهرت أم كلثوم من خلال تقنية الهولوغرام، حتى ضج مسرح محمد الخامس الذي امتلأ عن آخره بالتصفيق.

وغنت أم كلثوم على مدى نحو ساعة ونصف الساعة مجموعة من أجمل أغانيها، فبعد أنت عمري،غنت مقاطع من سيرة الحب ثم ألف ليلة وليلة ولسه فاكر وختمت بالأطلال. وبيعت كل تذاكر الحفل حسب المنظمين، ولذلك قرروا إقامة حفل آخر. وقالت واحدة من الجمهور لرويترز، قدمت نفسها باسم صوفيا فقط ، عشنا عصرا سمعنا عنه بأنه كان جميلا، وتقنا إليه دون أن نحلم بأن نعود اليه ويستمر المهرجان ببرنامج يضم مجموعة من نجوم الفن العرب والغربيين والمغاربة. انعقد المهرجان من 23 يونيو حتى 29 يونيو الماضي وشارك فيه نخبه من فناني المغرب ومصر ولبنان.

نقابة المهن التمثيلية في مصر تعلن عدم عضوية مايكل اسكندر في صفوفها

■ أقدمت نقابة المهن التمثيلية في مصرعلى اعلان عدم عضوية الممثل المصري الأصل الأمريكي مايكل اسكندر في صفوفها، بعد تقديمه دور البطولة في مسلسل إسرائيلي يحمل اسم (بيت داود) يجسّد خلاله دور النبي داود، ويشارك في بطولته عدد من الممثلين الإسرائيليين.

وقال الدكتور أشرف زكي، نقيب المهن التمثيلية، إن قرارات النقابات المهنية بعدم التطبيع مع اسرائيل قرارات لا تقبل الجدل. وأضاف، في تصريحات متلفزة، أن مايكل إسكندر ليس له علاقة بنقابة المهن التمثيلية، وليس عضواً فيها، ولذلك فهو لا يمثّل إلا نفسه في هذا التصرف، لأنه حاصل على الجنسية الأمريكية. استطرد فقال انه تم شطب فنانين، أقدموا على هذا التصرف، من النقابات الثلاث، وليس التمثيلية فقط، وهذا ما يحدث مع أي فنان خاضع لقانون النقابة إذا أقدم على هذا التصرف.

تابع قائلا أن الفنانين المصريين كانوا من أوائل الذين دعموا القضية الفلسطينية منذ اللحظة الأولى.

إنتهاء شهر العسل..!

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ الدليل على انك بحاجة الى نصيحة هو انك تنصح الاخرين.

برنارد شو

■ رجل الدولة الكثير الكلام، قليل العمل.

كوليدج

■ اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك، فان زوال الكرامة بزوالهما. ولكن ليعجبك ان اكرموك لدين او أدب.

ابن المقفع

■ عجبت لمن يشتري المماليك بماله، كيف لا يشتري الاحرار بمعروفة.

المهلب

■ لقد استفدت من اعدائي اكثر مما انتفعت باصدقائي، لان اعدائي كانوا يعيرونني ويكشفون لي عيوبي، وبذلك انتبه الى الخطأ فاستدركه، اما اصدقائي فانهم يزينون لي الخطأ ويشجعونني عليه. فاللهم احفظني من اصدقائي.

الاسكندر الكبير

■ لك من مالك ما انفقت، ومن ثيابك ما ابليت.

■ وجه تعرفه، خير من وجه تتعرف اليه.

أمثال عربية

■ من لم يملك عقله، لم يملك غضبه.

هوميروس

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح:

١ـ بذا قضت الايام ما بين اهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد
هذا البيت الذي جرى مضرب مثل هو للشاعر:
ابو نواس ـ ابو الطيب المتنبي ـ ام لأبي تمام؟

٢ـ كلمة «الاخطم» تعني:
من بترت ساقه ـ الطويل الانف ـ ام المتحطم الاسنان؟

٣ـ دشنت «قناة السويس» سنة:
١٧٦٩ ـ ١٧٩٩ـ ام سنة ١٨٦٩؟

٤ـ هو اكبر كوكب في النظام الشمسي. انه:
زحل ـ المشتري ـ ام المريخ؟

٥ـ كاتب وشاعر سوفياتي هو صاحب الرواية الشهيرة «الدكتور جيفاكو» التي ترجمت الى عدة لغات ونقلت الى الشاشة الكبيرة. نال جائزة نوبل للاداب سنة ١٩٥٨ ولكنه رفضها. فمن هو؟
تولستوي ـ مكسيم غوركي ـ ام بوريس باسترناك؟

٦ـ في ١٤ تموز سنة ١٧٨٩ سقط سجن الباستيل بيد الشعب الفرنسي الثائر. فاصبح هذا التاريخ عيداً وطنياً.
صح؟ ام خطأ؟

٧ـ ما هو الاسم غير المتجانس بين هذه الاسماء:
نيكاراغوا ـ بوليفيا ـ كوستاريكا ـ غواتيمالا؟

كلمة السر

كلمة السر: ٥ أحرف:
صاحب هذه الكلمات

ـ جميع هذه الكلمات مدونة داخل المربعات.
ـ لا يشطب الحرف الا مرة واحدة فقط.
ـ الحروف غير المشطوبة تؤلف كلمة السر.

○ لو كنت مضطهدا بين قومي المضطهدين، لكانت الايام اخف وطأة على صدري وأقل سواداً في عيني، لان من يشارك اهله الاسى والشدة يشعر بتلك التعزية التي يولدها الاستشهاد، بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً مع الابرياء.

○ ان الموت في سبيل الحرية لأشرف من الحياة في ظلال الاستسلام. ومن يعتنق الابدية والسيف في يده كان خالداً بخلود الحق.

ا	م	ا	ب	ن	ي	د	هـ	ط	ض	م	ل	ا	و	م	و
ف	ن	ض	ل	ن	ج	ة	د	ش	ل	ا	و	م	ن	ا	ا
ا	ي	ا	ط	ا	ف	ت	ن	ك	و	ل	ن	ا	ق	ل	ك
ع	ل	ع	ل	هـ	ي	س	ف	خ	أ	ي	ل	ل	ا	ا	ب
ف	ل	ت	ي	م	د	ا	ه	ب	ع	ح	س	س	ن	ل	ف
ب	ي	ى	ع	ن	و	اً	م	ت	ي	و	ت	خ	ي	ي	ب
م	خ	س	ص	ز	ي	ت	ن	ا	ا	ش	ا	ف	ظ	ر	و
ع	ا	ل	ب	د	ي	ق	ة	د	هـ	ل	ت	ل	ي	ط	ا
ا	ل	و	ا	ي	ر	ة	اً	ا	د	خ	ا	ء	أ	ل	و
ل	ا	ل	ر	د	ل	ي	د	اً	ر	ل	اً	ة	ح	ل	ا
أ	ب	ح	م	ا	ل	س	ت	س	إ	ل	ا	ق	ي	اً	ل
ب	د	ر	ى	س	أ	ل	ا	ه	ل	هـ	ا	ا	ش	ش	س
ر	ي	ي	ك	ر	ا	ش	ي	ن	م	ن	أ	ل	ع	ر	ي
ي	ة	ة	ا	هـ	د	ل	و	ي	ي	ت	ل	ا	ف	ف	ف
ا	ت	و	م	ي	ه	ن	أ	ل	ي	م	و	ق	ن	ر	ب
ء	ك	ل	ت	ب	ن	ه	د	ي	ي	ف	ت	ن	ا	ك	ل

نوادر

● ميزان الحظ ●

■ فيما كان «سام» ينتظر ركوب طائرته في المطار، لاحظ ميزانا الكترونيا يحدد الوزن ويقرأ الحظ. فتقدم وأسقط ربع دولار في شق الالة واخذ يقرأ على الشاشة:

«انت تزن ٨٨ كلغ، ومتزوج وفي طريقك الى مدينة سان دييغو بكاليفورنيا». فوقف مشدوها وتسمر في مكانه.

وضع رجل اخر قطعة معدنية في الميزان الالكتروني وقرأ: «تزن ٨٣ كلغ وانت مطلّق وتقصد مدينة شيكاغو في ولاية ايلينوي».

سأل سام الرجل: «هل انت فعلا مطلق وفي طريقك الىٰ شيكاغو؟»

فجاءه الجواب: «نعم».

اخذ العجب من سام كل مأخذ. فاندفع الى حمام الرجال وبدّل ثيابه وغطى عينيه بنظارتين سوداوين وعاد الى الالة. فراحت تقرأ عليه:

«لا تزال تزن ٨٨ كلغ، ولا تزال متزوجاً، لكنك تأخرت عن طائرتك المتوجهة الى سان دييغو..!»

● لسانك حصانك ●

■ الحكيم من يضبط لسانه ويفكر جيدا وقت الخطر. فالاسد، كما تعلمون، دعا النعجة ليسألها: هل لنفسه رائحة كريهة؟

فأجابت بالموافقة، فالتهم رأس تلك المغفلة. ثم دعا الذئب وسأله، فاجاب بالنفي فقطع رأسه لعلمه انه متملق ومرواغ. اخيراً دعا الثعلب وسأله.

فكان الجواب: «اعذرني يا سيد الغاب، فأنا مصاب بالزكام وحاسة الشم عندي معطلة..!»

● الاصلع والمزين ●

■ مرّ رجل اصلع من امام صالون للحلاقة، فناداه المزين قائلا: «تفضل وادخل.. فليس لديك ما تخسره...!»

● أكل التفاح ●

■ التهم البريطاني «جايمس كركنل» خمس تفاحات من دون استخدام يديه في دقيقة واحدة خلال برنامج تلفزيوني عرضته احدى محطات لندن في ٢٣ اذار سنة ٢٠٠٥.

يكتبها الشاعر
عبد الرزاق عبد الواحد

«سيّدي يا عراق»

سيدي يا عراق يا صادق العفو والنقم
أنت يا عاصم الرجا عندما لات معتصم

انت يا حاسم الدجي كلما الغيهب ادلهم
أنت يا سيد السنا أنت يا باذخ القدم

حولك الأن عصبة من ذئاب، ومن بهم
والغات ببعضها لا ذمام، ولا حرم

أنفس كلها قذى أوجه كلها تهم
جوقة من عقارب تلذع الجندل الاصم

هؤلاء الذبى لهم حولك الان محتدم
فأنتفض أيها الردي. واعترض أيها العدم

وانهمر يا دم الإبا رادما كل مرتدم
مغرقا كل من رمى راجما كل من رجم

لا خشوع ولا أسى ولا رجوع ولا ندم
إن من رام ظلمنا إنما نفسه ظلم

يا شباب العراق يا شرف الأهل والشيم
يا عزيزين في الورى يا مهيبين في الأمم

يا مذلين خصمهم كلما بالدم استحمّ
لكم الحب والوفا لكم العز والشمم

باسمكم لا اسم غيركم يتأخى ويعتصم
ولكم يصدق الهوى وبكم يصدق القسم

لا وعينيك لم أنم إنني ألف متهم
أنني قابع هنا وأدفع الموت بالسأم

وعلى النار إخوتي لهم الان مزدحم
ثكلتني قصائدي كم كتبنا وكم وكم؟

أبحر الشعر كلها لا تساوي رذاذ دم!
أبحر الشعر كلها لا تساوي رذاذ دم!

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية، كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

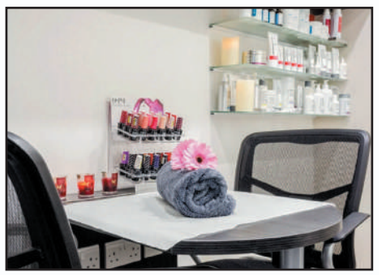

Back cover (Hammamat) 17/7/04 10:16 Page 1

The Scent of Jasmine and Mediterranean Mystique

Welcome to Le Royal Hammamet, just steps from the Marina and seaside adventure. The hotel boasts 266 rooms with private balconies, Satellite TV, Wifi internet, 24-hour room service and all the facilities of a five-star hotel. Moorish architecture, sandy beaches and manicured gardens add to the propertys' charm. Five restaurants and bars offer the best of food and beverage, with both local and international flavours. The property features four swimming pools, two tennis courts, water-sports and a deluxe Spa center. The Cleopatra Convention Centre is the ideal venue for events.

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Beirut | Lebanon

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com